إكسير الجمال

خلود زايد

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظه

الطبعه الأولي يناير ٢٠١٩

الكتاب : إكسير الجمال

الكاتب : خلود زايد

تدقيق لغوي : احمد محمد عبد الستار

تصميم الغلاف : عماد رشدي

رقم ايداع: 23998

ترقيم دولي: 978-977-6688-08-7

دار سنون للنشر والتوزيع

الزقازيق - الشرقية - مصر

٠١٠١١٤٦٤٠٣٧

sonon.pub@gmail.com

إكسير الجمال

خلود زايد

إهداء

أهدي هذه الرواية إلى أمي وأبي
العزيزين على قلبي
وإهداء خاص لأختي الصغيرة جنا زايد
التي ساعدتني على الاستمرار في كتابة الرواية وفي لحظات اليأس والكسل دعمتني لكي أكملها.
أيضًا إلى هاشم وشروق أبناء خالي اللذين اقترحا علي كتابة رواية عندما اطلعا على بعض القصص القصيرة التي كتبتها.

مقدمة

بالرغم من أن أقدارنا كتبت قبل أن نأتي للحياة، أنت دائمًا مخير وأنت من تختار طريقك الذي تريد أن تسلكه، والقرار في الأخير يرجع إليك وأنت الوحيد المتحمل المسؤولية في اختيار قراراتك، وبالرغم من أن هناك قرارت نأخذها تحت ضغوطات الحياة وأحيانًا نتخلى عن أحلامنا من كثرة الضغوطات، فكل شخص يعيش على وجه الأرض لديه أمنية أو حلم بالمستحيل منهم من ترك هذا المستحيل ومنهم من استطاع تحقيقه، إلى من ترك حلمه وشعر باليأس أن يحققه، اليوم سوف تدرك جيدًا ألا تضع في قاموسك كلمة مستحيل، لأنه سيأتي اليوم الذي يتحقق فيه هذا المستحيل سواء كنت أنت الفاعل أم غيرك لذلك كن أنت الفاعل، لا تجعل حلمك يموت معك فكم من الأحلام دفنت مع أشخاصها في القبور دون أن يعلم عنها أحد.

تبدأ حياتك عندما يولد حلمك تشعر عندها بإحساس السعادة عند تحقيق النجاح، وتشعرك بالفخر بنفسك، وتشعر أن لك قيمة في تلك الحياة لذلك تمسك به، وإن تركت حلمك لفترة عد إليه مرة أخرى، وإن غضبت منه لأنه صعب، خاصمه واتركه، ولكن ارجع إليه وتصالح معه مرة أخرى، لكن لا تتركه إلا أن يتلاشى.

وإن كنت تشعر باليأس من حلمك، ولا تريد أن تحققه، ولا تريد أن تفعل شيئا في حياتك سوى أنك تتذمر من أنك لا تستطيع تحقيقه، اقرأ قصة عن حياة شخصية حققت المستحيل واقرأ قصص أخرى ليست واحدة فقط،

وبعد أن تقرأ وتعيش معها كل لحظة من حياتها، ولكن مازال الشعور بالمستحيل يتسرب إلى أعماقك بأنه لن يتحقق، إذن أحرق كل ما قرأت واعتبر أن كل هؤلاء شخصيات وهمية واذهب وتذمر وألقِ باللوم على الواقع الذي تعيش فيه، وأغلق على نفسك في الغرفة، واكتب في ورقة بيضاء لماذا لم تستطع تحقيق حلمك حتى وإن لم تكتب شيئا، ثم علقها في غرفتك حتى وإن كانت بيضاء، وأنت خارج من غرفتك انظر إليها، وأنت داخل إلى غرفتك انظر إليها أيضًا، ثم ابكِ وابكِ كثيرًا لأن أحلامك وطموحاتك لم تتحقق، وبعدها فكر في حلمك وحاول أن تحققه مرة أخرى فأنت مازلت حيا، وحلمك مازال معك وبداخلك ولم يمت بعد، لأنك مازالت تبكي من أجله لأنه مازال مهما بالنسبة لك.

فالحياة بعد الموت كانت شغفا وحلما عند الفراعنة فجعلتهم يقومون ببناء أعظم القبور في العالم وأصبحت عجيبة من عجائب الدنيا السبع، ومازال التاريخ يذكرهم حتى وقتنا هذا، ولكن من جهة أخرى هناك أحلام تدمر وتؤدي إلى الموت فالأباطرة في الصين بحثوا عن إكسير خرافي يسمى إكسير الحياة لكي يعيشوا حياة أبدية، وكانت النتيجة موت من يتناول ذلك الإكسير، من يقرأ في الموضوعين يتوخى الحذر ويحاول الابتعاد عن الأحلام الخرافية التي يمكن أن تسبب مشاكل في حياته، ويبتعد عن ما فعله الأباطرة في الصين.

لكن هناك واحد منا يقف بعيدًا ويتمسك بحلمه ولا يغيره بل يحسن الفكرة لتتناسب مع هذه الأيام، ويبحث عن الأبدية كما فعل الأباطرة في الصين لكن في أمر آخر. فهل فعلًا يمكن أن يتحقق أم ستكون نفس النتيجة التي حدثت في الماضي حتى بعد تطور الفكرة؟؟

الفصل الأول
البداية

مها طالبة في كلية العلوم، دخلتها لأن مجموعها حدد لها ذلك، ولأنها كانت تريد أن تدخل كلية الصيدلة، فدائمًا يكون الخيار الثالث بعد الطب والصيدلة هو كلية العلوم، وخاصةً إذا كان الاختيار علمي علوم فهي من الطبيعي إما أن تريد أن تكون طبيبة بشرية أو طبيبة صيدلانية، ولأنها لم تستطع تحقيق ما تريد، اختارت كلية العلوم وتخصصت في الكيمياء المادة المقربة إلى قلبها وأيضًا لأن هذه المادة الأقرب من دراسة الصيدلة.

أسرة مها صغيرة تتكون من والديها وأختها الكبرى تُدعى سميرة، سميرة تكبر مها بعشر سنوات، تمتاز بملامحها الصغيرة وشعرها الأسود الداكن، وعينيها الجميلتين ذات اللون الأسود، وبشرتها البيضاء اللون، حيث أنها ورثت الكثير من شكل أمها، بالنقيض مها ورثت كثيرًا من شكل والدها عيناها الزرقاء كزرقة لون البحر، وشعرها البني، فهناك من ينظر إليها ويشعر بجمالها وطيبة قلبها والبعض الآخر ينظر إليها فيشعر بغرورها وذكائها الطاغي على جمالها.

تزوجت سميرة من الإنسان الذي أحبته واختارته دون ضغط من أي أحد، لكن هذا الاختيار ترتبت عليه أمور لم تكن تتوقع يومًا حدوثها.

بعد انتهاء دروس مها في الكلية رجعت إلى البيت لتجد أختها تبكي في أحضان أمها، لتسأل: ماذا هناك؟، فتكون الإجابة بأن زوج سميرة الذي كان اختيارها، لم يستطع تحمل أنها لا تنجب أطفالا فقرر أن يطلقها، ويتزوج بأخرى، القدر غير حياتها وجعل نتيجة اختيارها تنتهي نهاية لم تكن تتوقعها، وماذا لو كان اختيار سميرة إنسانا آخر هل ستكون نفس النهاية؟! فالإنسان الذي كانت تعتقد بأنه سوف يعيش معها طوال حياتها

في السراء والضراء لم يعد يتحمل أن يعيش دون أطفال يحملون اسمه، واسم عائلته، ومع قليل من الضغط من قبل أهله لم يعد يتحمل فتزوج بأخرى، فكيف يعيش الحب في مجتمع تحكمه عادات وتقاليد حيث إن الزوجة من أول شهر زواج يجب أن تربط زوجها بالأطفال وليس بالحب، وماذا لو كان سبب عدم الإنجاب من زوجها؟ هل ستكون نفس النتيجة تتركه وتتزوج بغيره أم ستتمسك به؟ تدور تلك الأفكار في رأس مها وهي جالسة في غرفتها على كرسي مكتبها منذ أن سمعت خبر طلاق أختها.

بعد أن تخرجت مها من الجامعة وهي في غاية السعادة، لأنها أخيرًا حصلت على درجة البكالوريوس في الكيمياء المادة التي تُحبها، حيث إن الكيمياء بالنسبة لها مثل اللعبة تدمج المواد وتخلطها لتحصل على نتائج ومواد جديدة، لم تكن تفهم من شرح أساتذة الجامعة لذلك اعتمدت على الحفظ لكي تحصل على درجات عالية وخاصة أن ملكة الحفظ لديها عالية وسريعة، وكأي مجتمع تحكمه العادات والتقاليد يجب أن تتزوج ونتيجة الإلحاح والضغط الزائد عليها استسلمت مها، وتزوجت حتى تستريح من الصداع، فكثرة التكلم عن موضوع معين كل يوم يتسبب في بعض الأحيان إلى صداع وخاصةً إذا كنا نناقش أُناسا وكأننا نتحدث مع الحائط، لا يغيرون رأيهم فعندما تقرر أن تستسلم لتريح أعصابك من الإجهاد والضغط النفسي الذي ينصب عليك أو تبتعد عن مصدر التعب.

زوج مها إنسان مثالي كما يُقال عنه في مجتمعنا من البيت إلى العمل، ومن العمل إلى البيت، وبعد مرور الوقت أنجبت مها طفلة واختارت لها اسم ملك، وبعدها بسنة واحدة مات زوج مها، الموت المفاجئ لا يعرف صغيرًا أو كبيرًا في العمر ولكن الناس تتساءل كثيرًا: ماذا حدث له؟ لم يحدث شيء

فقط مشيئة الله.

تقف مها في العزاء، لتستقبل العزاء في زوجها، لم تكن تبكي ولم تكن سعيدة، بل كانت شخصية قوية، تُفكر فقط بعد أن أصبح عمرها خمسة وعشرين عامًا، وليس لديها مصدر مالي لكي تنفق على ابنتها ملك، وخاصةً بعد أن انقطعت عن إكمال رسالة الماجستير والعمل، لأن زوجها قرر أن تكون ربة منزل وتعتني به وبمنزلها، ولأن مها شخصيتها صلبة ولم تكن تبكي في العزاء، صرخت في وجهها حماتها مها تفاجأت من صرخة حماتها عليها.

مها تنظر إلى حماتها متسائلة:

- ماذا حدث يا حماتي؟

- أنتِ لماذا لا تبكين؟ من المؤكد أنك سعيدة لأنه مات أو ربما أنتِ من قتله!

- أنا لن أرد عليك لأنني أقدر ما أنتِ فيه.

ردت حماتها باستهزاء بها:

- أشكرك جدًا، أنك قدرتِ موقفي، واحدة أخرى في مكانك كانت لتبكي على زوجها ليل نهار وكل يوم، لكن أنتِ جبارة، ليس عندك مشاعر وإحساس، كأن من مات شخصًا عاديًا، أنا لا أعلم لماذا أصر على الارتباط بكِ، كان هناك مئات الفتيات يتمنون فقط نظرة منه، لكن أنتِ جاحدة على النعمة التي أنعمها الله عليك، زوج مثالي مثل ابني يجب أن تبكي عليه طيلة حياتك.

مها تنظر إليها ولا تنطق بحرف، ثم تشد حماتها ملابس مها وتقول لها:

- هل تشعرين بالحب تجاه ابني؟ هل كنتِ تتمنين وفاته؟

وتصرخ فيها بصوت عالٍ:

- أجيبيني هيا!

تمسك مها يد حماتها المتشبته بملابسها قائلة:

- أرجوكِ اتركيني، ابنك كان زوجا مثاليا كما تقولين، لكن أنا الجاحدة كما قلتِ ليس لدي أي مشاعر، وابنك مات الآن، وكل ذلك النقاش لن يغير الواقع.

تخرج حماتها من بيت أهل مها، وهي في قمة العصبية والغضب، وتنظر إليها مها وهي خارجة من البيت، ثم تنظر أمها إلى مها قائلة:

- لم أكن أعلم أنني أنجبت شخصية قوية مثلك يا مها.

ردت مها:

- لو زاد الجدال معها لربما سمعت مني كلاما لن يعجبها، ولا فائدة من جدال عقيم لن يفيد في شيء.

ثم تدخل مها غرفتها، لتجد ابنتها نائمة على السرير وتمسح على رأسها وتقبلها وتنام في أحضان طفلتها الصغيرة، لتحاول أن تنسى حزنها.

الفصل الثاني
القرار

بعد مرور أسبوع على موت زوجها، قررت مها أن تكمل دراستها وتقوم بتحضير الماجستير لكي تستطيع أن تعمل في الكلية كمعيدة ويصبح لها دخل شهري ثابت، وشجعها على ذلك والديها وهم أيضًا من قالوا لها مسبقًا: لا تعملي واخضعي لرغبة زوجك بأن تجلس في البيت بعد الزواج، نفس الأشخاص لكن المواقف تغير من أفكارنا، اجتهدت مها كثيرًا حتى تستطيع أن تتحمل مصاريف ابنتها، وأيضًا لا تريد أن تثقل على والديها اللذين كانا يمدان لها يد المساعدة كلما احتاجت لهما.

بعد أن انتهت مها من رسالة الماجستير، وقد أصبحت معيدة في الجامعة، جلست في غرفتها لتقلب في صفحات رسالة الماجستير ووجدت أن موضوع الرسالة عادي جدًا وقد كان عن -تأثير المواد الحافظة على أجسامنا-، تبتسم مها وتتحدث مع نفسها: أين الإنجاز؟ موضوع عادي جدًا، روتيني في مجمتع تقليدي، وفي الأخير نتيجة لذلك ستكون رسالتك مكانها في أدراج المكتب، بعد أن أصبح عمري الآن ثلاثين عامًا، كل ما أنجزته هو شيء عادي تقليدي ربما يراه مجتمعنا أنه أمر غير عادي لأنني أصبحت من ربة منزل لأستاذة جامعية، فكل من يحيط بي يحتفلون بما فعلته لقد غيرت حياتي لكن مازلت أشعر أن هناك شيئا ناقصًا لم يكتمل بعد، لماذا لا أشعر بالسعادة والمتعة؟ هل فقدت متعتي في الكيمياء، المعادلات الكيميائية أصبحت أعرفها جميعها وأصبحت روتينية كحياتنا الروتينية نفس المعادلات الكيميائية ونفس النتائج ليس هناك جديد.

تدريجيًا تفكر مها في رسالة الدكتوراة بعد الماجستير، تتجول مها في أرجاء المنزل تفتح التلفاز وتقلب في البرامج والمسلسلات والأفلام لها تحكي نفس

القصص لكن بوجوه مختلفة فتغلق التلفاز، ثم تقف لتتجه نحو المكتبة كأي بيت يجب أن تجد مكتبة تحتوي على كتب كثيرة ومتنوعة في بعض البيوت تستخدم كديكور للمنزل، تقلب مها في صفحات الكتب تبحث عن شيء لا تعرفه ولا تدري ما هو، ثم يأتي شعور الملل من الكتب فتترك المكتبة فبالرغم من تفوقها الدراسي فمها لا تحب قراءة الكتب ولم تنجذب لكتابٍ أو موضوع معين ليجعلها تستمر بالقراءة فيه، ثم تذهب إلى غرفتها وتجلس أمام حاسوبِها لتتصفح عبر الإنترنت فتدخل في متاهة المواضيع، تنتقل من موضوع إلى آخر لتصل في نهاية متاهة البحث إلى الصين القديمة حيث سعى الأباطرة للبحث عن إكسير خرافي يعطي بعضًا من طول العمر للشخص الذي يتناوله، فتبتسم قليلًا وتكتب على ورقة بقلمها إكسير الحياة، ثم تقول: لقد عرفت موضوع بحثي الجديد لماذا كانوا يبحثون عن شيء مستحيل حدوثه وخصوصًا أن أعمارنا ليس بأيدينا!! لنحول الموضوع من إكسير الحياة، ثم تقوم بالشطب على كلمة الحياة ثم تكتب الجمال، هوس المشاهير ومعظم الناس في البحث عن مساحيق ومستحضرات تجميل ليحصلوا على الجمال الخالد، يجعلها أكثر حماسًا بأن تجعل عنوان رسالة الدكتوراة -إكسير الجمال-.

بدأت مها بجمع كل الكتب التي تتحدث عن التجميل وعمليات التجميل، وجميع المركبات المستخدمة في كريمات ومستحضرات التجميل، أربعة أشهر وهي ترتب أفكارها والمعلومات التي تسجلها في دفترها لم تترك معلومة مهمة قرأتها دون تدوين، لم يكن لديها وقت فراغ لكي تستريح، وكلما زادت قراءة مها عن الموضوع زاد جنونها وشغفها، ليصل بيها الحال أن تنام بجوار ابنتها الصغيرة وهي تقرأ تلك الكتب، عندما نقرأ ما نحب تدخل السعادة

إلى قلوبنا دون استئذان حتى نصبح جزءًا لا يتجزأ من ما نقرأه.
توصلت مها أخيرًا إلى قرار أن تخبر الدكتور المشرف عن رسالتها، والموضوع الذي تريد أن تعمل عليه تجاربها بشكل عملي وعندما كانت تحدثه كان القلق، والخوف، والثقة بالنفس، مشاعر مختلفة ظهرت على وجهها، خوف من ردة فعل مشرف الرسالة، وقلق بألا تستطيع التوصل إلى نتيجة لإقناعه، وثقة بالنفس من تحقيق المستحيل.
فيرد عليها مشرف الرسالة: لا يا مها أنا لن أوافق على ذلك الموضوع لسببين رئيسيين: الأول هو أن ذلك البحث نتائجه جميعها ستكون سلبية ومستحيل تحقيق نتائج إيجابية، ثانيًا ليس لدي الوقت لكي أضيع وقتي على بحث معروف نهايته من الآن.
تقوم مها بوضع ورقها في الملف وتعتذر للدكتور لأنها أضاعت وقته في الحديث عن شيء يستحيل حدوثه وتنسحب بهدوء دون الدخول في نقاش حيث إنها تفاجأت بردة فعل الدكتور عندما قال: لا، في وجهها مباشرةً، وشعرت بالإحباط وفقدان الأمل في تغير مجتمع تحكمه أفكار تقليدية، ولكن الغريب أنها لم تفقد الأمل في حدوث المستحيل.
تخرج مها من مكتب المشرف على رسالتها، متجهة خارج الجامعة لتذهب وتقف أمام المياه التي تكتسب زرقتها من انعكاس لون السماء، ومع شعورها بالخوف والإحباط ومع قليل من الغرور والثقة بالنفس، وقد كانت تمسك بيدها حلم وإيمان، حلم بالمستحيل وإيمان بتحقيق المستحيل. لقد أتت تلك اللحظة لمها، اللحظة التي يتذكر فيها الإنسان جميع ما مر به في حياته سواءً أكانت لحظات سعيدة أو حزينة، لتصل إلى نتيجة بأن كل ما مرت به كان مقدرًا بسبب، حيث إنها اختارت الزواج بسبب كثرة الإلحاح

الزائد، واختارت كلية العلوم بسبب مجموعها، ولكن اليوم سوف يكون اختيارها دون سبب دون إكراه أو ضغط عليها، هي من ستتخذ القرار وبعدها يكتب القدر نتيجة اختيارها، إما أن تنسى ما بدأته أو تكمل ما بدأته حتى النهاية.

تذهب مها إلى البيت، وتبحث عن مفتاح شقتها التي كانت تعيش فيها مع زوجها، حيث كانت تلك الشقة تحت شقة والديها في نفس العمارة وتجد المفتاح في درج من أدراج مكتبها، فتنزل تحت إلى الشقة وتدخلها، تلك الشقة التي كانت ممتلئة بالغبار ثم تزيل ذلك الغبار الذي أضاع من عمرها ثلاث سنوات لتجلب إلى حاضرها مستقبلا آمنت به ولا تعلم متى وأين سينتهي، حيث إنها قررت تحويل الشقة إلى معمل كيمياء.

الفصل الثالث
أوقات صعبة

تمر الأيام كانت توفر مها المال لتجهز معمل الكيمياء الخاص بها، وفي تلك الأيام تُوفي والداها، ولم تبقَ سوى أختها الكبرى وابنتها الصغيرة التي أصبح عُمرها أربعة أعوام، وتزداد عليها المسئوليات المادية وخاصةً بعد وفاة والديها، حيث أنه كلما ضاق بها الحال تلجأ إليهم ليس فقط ماديًا وإنما معنويًا حتى وإن كانت مها تختلف معهم دائمًا في وجهات النظر، لكن شعورها عندما تعود للبيت لتجد ابنتها الصغيرة في أحضان جدتها يشعرها بالراحة والأمان، وعندما كانت تحتاج لبعض المال لن تجد أحد يدعمها ماديًا سوى أبيها، فمن سيقدم لها المساعدة أهل زوجها! الذين لم يسألوا عن حفيدتهم منذ سنوات فقد كانوا يقولون لها: إنهم مشغولون وليس لديهم الوقت، لم تتفاجأ كثيرًا بعدم سؤال أهل زوجها فهي كانت تعلم جيدًا أن أهل زوجها لم يسألوا عن ملك لأنها فتاة، إما إذا كانت صبيا فلن يكتفوا بالسؤال والزيارات فقط، لربما سيرفعون عليها قضية لاحتضانه، ولذلك لأنه مجرد صبي يحمل اسم العائلة، نحن نتنكر من تلك الأفعال في مجتمعنا إعلاميًا وصحفيًا لكن لا نستطيع أن ننكر أن هناك العديد من العائلات تتعامل بذلك المبدأ وربما أيضًا المجتمع كله يتعامل بذلك المبدأ لا إراديًا وكأنه مورث جيني يجري في عروقنا.

تصبر مها ستة أشهر كاملة لتجهيز معملها بالكامل، الآن هو جاهز لتبدأ في تنفيذ التجارب العملية، من الجانب الآخر عملت على رسالة الدكتوراة مع المشرف الذي رفض موضوع إكسير الجمال، فهي تشتغل معه على موضوع آخر فهي تضع احتمالية الفشل في اكتشاف مركبها الخيالي، لذلك كانت تعمل في اتجاهين الأول على رسالة دكتوراة يتقبلها ويوافق عليها مشرفها،

وفي الوقت ذاته لن تتخلى عن حلمها، وتعمل أقصى جهد حتى لا تقصر في واجبها كأم تجاه ابنتها وتساعدها في ذلك أختها الكبرى حيث إنها كانت على علم بكل خطوة تخطوها مها.

مع كل يوم يمر تجربة جديدة تُولد، مها تتعامل مع الكيمياء كاللعبة بين أناملها لا تهمها كمية التجارب وعددها فهي لم تمل للحظة مما تفعله، عندما تجلس مع أختها فتقول لها سميرة وهي مبتسة:

- أحيانًا يا مها أشعر بأن الكيمياء وأنتِ كالأحبة، أنتِ لا تشاهدين نفسك عندما تعودين من الجامعة، وتدخلين إلى الشقة التي فيها المعمل الخاص بكِ كأنك تقابلين حبيبك.

تبتسم مها لسميرة:

- نعم يا سميرة هذه هي الحقيقة، أنا أجد نفسي في معملي وأشتاق إليه، وعندما أكون في الجامعة في كل لحظة أفكر في بحثي، وما الذي سوف أقوم به اليوم، عندما تحب بجنون ما تعمل، لا تستطيع أن تفارق ما تحب.

ثم تخفض صوتها:

- أقول لكِ سرًا. .

ثم تقترب من سميرة:

- عندما تفشل تجربة ينكسر قلبي، وأشعر بألم كألم فراق الأحبة.

تضحك سميرة بصوت عالٍ قائلة:

؛ أنتِ فعلًا مجنونة يا مها.

مها ليست فقط مجنونة، بل هي الدكتورة المفضلة لدى جميع الطلاب والطالبات بالجامعة بدون استثناء حيث إن كثيرا من الطلبة يدعون الله أن يطرح اسمها لتدرسهم مقررات كثيرة ومتعددة في مادة الكيمياء،

وهذا يسبب لها الكثير من المشاكل مع رئيس قسم الكيمياء حيث كان دائم الشجار معها لأن بنسبة تسعين في المئة الطلاب ينجحون في مادتها، وبتقديرات عالية، والغريب في الأمر لم يهتم رئيس القسم ومساعديه بالأسباب التي تجعل الطلاب يحصلون على التقديرات العالية بل كان تركيزهم فقط على أن مها يجب أن تخفض تقديراتهم أو تضع امتحانا صعبا يتسبب في خفض درجاتهم، ليصبح لديها تنوع في التقديرات، ولم يهتموا أن أسلوب مها المبسط في شرح مادة الكيمياء، هو ما يجعل الطلبة يحبون المادة ويستمتعون بدراستها، حيث إن مها تشاهد العديد من الفيديوهات على الإنترنت لتبسيط شرح مادة الكيمياء وتجعل أسلوب شرحها ممتعًا ومميزًا دون أن يشعر الطلبة بالملل والتذمر.

فقد كان عند مها مبدأ تقوله دائمًا لطلابها، -نحن في كل ساعة يجب أن نتعلم شيئا جديدًا، ولا نشعر بغرور لأننا وصلنا إلى مناصب عالية، فإن اكتفينا بالمنصب العالي، ولم نطور من أسلوبنا وطريقتنا بما يتناسب مع العصر، ستمر الأيام ونحن نستخدم طرق بدائية، ثم تؤثر تلك الطرق البدائية تدريجيًا على الأجيال القادمة، فإما أن يأتي جيل من تلك الأجيال لا يسامحنا على أنه تعلم منا طرقًا بدائيةً في حين أن هناك طرق متطورة وحديثة أخرى وأكثر سهولة، أو يأتي جيل آخر حافظًا وليس فاهمًا ما يدور من حوله من تكنولوجيا وتطور، وكم قتلنا أجيالا موهوبة بأسلوبنا البدائي في التدريس!!-.

مع كل هذا التعب وتعدد المسؤوليات التي تحملها مها بدأت علامات التعب والإرهاق تنعكس على وجهها، وتلاحظ سميرة أن مها تقتل نفسها ببطء، وأثناء جلوس سميرة مع أختها في شرفة المنزل المزينة بالورد الذي

كانت تزرعة سميرة وهما تحتسيان كوبًا من الشاي الدافئ، مع هدوء الليل وقليل من البرودة في الهواء، يدور بينهما حوار هادئ على صفيح ساخن:
-: لماذا لا تتزوجين يا مها ذلك أفضل لكِ، فوجود شخص آخر في حياتك يتحمل معكِ أعباء الحياة.
-: هل شكوت لكِ أني متعبةٌ؟
- لا، ولكن أنتِ تقتلين نفسك دون أن تشعري ومازلتِ شابة جميلة ألا تشعرين بقيمة جمالك، عيناك الزرقاء وشعرك البني، يجعل أي شخص يتمناك ويريد أن يتزوجك.
- ألن أنتهي من ذلك الموضوع حتى بعد وفاة زوجي مازال ذلك الموضوع يلاحقني، لقد جربت حظي في الزواج مرة ولا أريد أن أجربه مرة أخرى، وأيضًا إنني أرى أن فكرة الزواج سوف تزيد الأعباء والهموم عليّ أكثر، لأنه سوف يكون ذلك الرجل أيًا كان من أولوياتي، وربما لن أهتم ببحثي من أجله، وربما لا يعامل ملك جيدًا لأنه مهما كان ليس والدها الحقيقي، صحيح انتظري لحظة من قال لك أن الجمال أهم شيء وأساسي لينجذب لي شخص ما.
- مها، أليس بحثك المجنون هذا عن الجمال؟! وأكثر شخص يبحث عن الجمال الدائم هو أنتِ، وتقولين لي إن الجمال ليس مهما لجذب شخص لكِ؟!
- أنا أقوم ببحث عن الحفاظ على الشباب الدائم ومرحلة الشباب هي الأجمل في حياة أي شخص، حيث تكون بشرته في رونقها والتجاعيد تكون معدومة إلى حدٍ ما، وأنا أقوم بذلك البحث ليس من أجل أن أثبت أن الجمال هو أهم شيء بل لأثبت لنفسي أنني أستطيع أن أثبت للعالم أن

المستحيل يمكن حدوثه، وأن حبي للكيمياء جعل مني عالمة كيميائية من الطراز الرفيع، تخيلي معي لو إكسير الجمال أصبح حقيقة، أتعلمين ماذا سيحدث؟

-: ماذا سيحدث؟ ستشتريه السيدات وينتهي الأمر.

-: هذا بالضبط التفكير المحدود، أما أنا فأفكر بشكل مختلف، أولًا: يمكنني عمل مصنع لإنتاج ذلك المركب أتعرفين كم عدد النساء على وجه البسيطة والأرباح العائدة من ذلك المصنع، ثانيًا: سأحصل على براءة اختراع وليس مستبعدًا أن أحصل على جائزة نوبل في موضوع بحثي.

-: وعلى حد تفكيري المحدود أن من يحصل على جائزة نوبل من العلماء، هم من يكتشفون علاجا لمرض معين للبشرية، لكن ما العلاج من مركبك هذا؟؟

-: من قال لك إن التجاعيد ليست مرضا لأنك مازلتِ في عز شبابك ولم تجربي بعد إحساس مرور عشرين عامًا، عندما تنظرين إلى نفسك في المرآة لتجدي التجاعيد في معظم وجهك، وعلامات الإرهاق والتعب حول عينيكِ، ثم تنظرين إلى من حولك من الشباب وهم ينظرون إليك ويقولون لماذا لا تجلسي في البيت لقد كبرتِ في العمر، وكأن قدرنا عندما نكبر في السن أن نجلس في البيت بين أربعة جدران ونُدفن أحياء.

أو إحساس الرجل المتزوج الذي يذهب ليتزوج بشابة صغيرة ليعيد معها شبابه من جديد بعد أن أصبح وجه زوجته مليئا بالتجاعيد ولا تنسي أن النساء أكثر عرضة من الرجال للتجاعيد والتعب، بسبب الحمل والولادة وتحمل المسؤولية منذ أن تتزوج، فتكتئب تلك الزوجة وتجلس في البيت لتدعو على زوجها الذي تزوج عليها، صحيح أن نسبة الوفيات في مجتمعنا

بسبب الأمراض لكن المرض في البداية يصحبه نوع من الأمراض النفسية مثل الاكتئاب والشعور بالوحدة وفقدان الإحساس بمتعة الحياة، مما يسارع في زيادة آلام المرض وسرعة الوفاة.

ثم تستكمل حديثها قائلة:

- نحن مجتمع مريض ننظر إلى المظاهر وننبهر بالجمال دون الجوهر إذن يجب أن يوجد علاج لذلك المرض.

-: ما كل هذه الدراما، لو أنني لست أختك لظننتك امرأة عجوز اخترعت إكسير الجمال وجالسة أمامي الآن وتحدثني.

وينتهي الحديث بين مها وسميرة حيث يتمسك كل طرف بأفكاره ومعتقداته، طرف يجد بأن الزواج هدف أساسي في الحياة والطرف الآخر يجد بأن تحقيق الحلم سيجعل للحياة معنى ولونًا وطعمًا آخر.

الفصل الرابع
ثلاثون يومًا من العزلة

تعزل مها نفسها عن ابنتها وأختها وتأخذ إجازة من الجامعة، ملك ابنة مها ذات الشعر البني والعينين العسليتين طفلة في منتهى الجمال والبراءة كانت تخاف عليها مها كثيرًا، لأنها جميلة وأيضًا خالتها، حتى إن سميرة جعلتها ترتدي سلسلة بها خرزة زرقاء خوفًا عليها من الحسد، ملك تشعر بالضيق وتفتقد إلى والدتها فقد كانت تصطحبها مها إلى المعمل وتجلسها بعيدًا تضع لعبها ثم تلعب، لتكون أمام عيون أمها لكن الآن مها تذهب إلى المعمل لوحدها دون اصطحاب أحد وتترك ابنتها مع سميرة لتعتني بها، لم تكن ملك مدركة لما تقوم به أمها لكن كانت تفتقد أمها كأي طفل ليكون هذا تمهيدًا من القدر لملك.

ففي صباح اليوم الثلاثين من الشهر في الساعة التاسعة صباحًا، يستيقظ سكان العمارة التي تعيش فيها مها على صوت دوي انفجار، فيبحثوا عن مصدر الصوت ليجدوا حريقًا هائلًا يندلع من شقة مها وهي الشقة التي كان فيها المعمل.

فتصرخ سميرة وهي في حالة من الجنون قائلة:

- أنقذوا أختي فهي داخل الشقة!

فيرد عليها أحد الجيران قائلًا:

- أليست مها معك داخل الشقة الأخرى؟

فتقول سميرة وهي تشير له إلى شقة المعمل:

- لا، لا، فهي داخل تلك الشقة.

وبعد الاتصال بسيارة الإطفاء لإخماد النار، يجدون مها جثة محترقة على الأرض، النيران أكلت كل شيء، انتقم الجمال من مها أشد انتقام، خطأ واحد

من خلط المواد الكيميائية ممكن أن يتسبب في كارثة، وبالرغم من ذكاء مها الحاد إلا أنها نسيت أن معامل الكيمياء يجب أن تكون مزودة بأدوات أمان، حيث عند اندلاع أي حريق يكون هناك مرش من الماء ملصق بسطح المعمل لإطفاء الحريق، لكن مها تعاملت مع الكيمياء كلعبة فلعب معها القدر لعبة أخرى، وكتب نهاية مأساوية لحياتها بين نيران مشتعلة لم تخلد تلك النيران حتى أحرقت كل شيء، لتصبح مها وجميع ذكرياتها رمادا يغطي كل جزء من الشقة التي اعتبرتها مها انطلاقة جديدة لحياتها، ولكن تلك الشقة أصبحت انطلاقة جديدة للحياة بعد الموت.

الفصل الخامس
ستة عشر عامًا على الفراق

ستة عشر عامًا على الفراق، تقف سميرة أمام المرآة لتنظر لوجهها وتحدث نفسها بصوت عالٍ فتقول:

- نعم، مها كانت على حق بعد مرور الأيام سأتمنى أن أرجع شبابًا، والآن مرت الأيام وأصبح عمري واحدًا وخمسين عامًا، كبر الصغير يا مها، وملك الآن شابة وهي في كلية العلوم تمامًا مثلك تحب الكيمياء، وهي في السنة الأخيرة، جعلتها صديقة لي لكي تحدثني عن كل شيء خفتُ عليها من كثرة حبها للكيمياء أن تسلك طريقك وتفعل ما قُمتِ بفعله، لذلك أخذتُها إلى بيتٍ جديد نسكن فيه، وقلت لها إن ما حدث في الماضي كان ماسًا كهربائيًا أدى إلى وفاتك أبعدتها عن جيران العمارة التي نسكن فيها والمنطقة حتى لا تنبش في الماضي، وتعرف عن إكسير الجمال، فتحاول أن تقلدك وأخسر للمرة الثانية ابنتي.

تذهب ملك مع صديقاتها إلى الجامعة فهي اجتماعية ومحبوبة مع كل إشراقة شمس تنبعث من وجهها الابتسامة المليئة بالنشاط والحيوية، ورثت عن أمها الجمال شعرها ذا اللون البني الذي يصبح كسلاسل من الذهب عند انعكاس أشعة الشمس عليه، وعينيها الجميلتين اللامعتين أولات اللون العسلي، وأيضًا ورثت حبها للكيمياء، لكن شخصيتها مختلفة تمامًا فهي تحب المرح والمزاح مع الجميع، ولديها صديقات كثر وذلك لجمالها البريء الجذاب، تمتازُ شخصيتها بالطيبة كخالتها والذكاء لأمها فهي ذات شعور مرهف حساس وتتأثر سريعًا بالمواقف وتبكي إذا رأت موقفًا يحزنها وحتى عند مشاهدتها للأفلام تبكي سريعًا، وكانت أقرب صديقة لها هي ندى، حيث إن ندى فتاة جميلة ذات طابع كلاسيكي هادئ تحب القراءة وقليلة

الكلام وكانت مميزة بارتداء نظارات نظر سوداء اللون، وكانتا صديقتين بالرغم من اختلاف صفاتهما، ودائمًا تتنافسان للحصول على أعلى الدرجات ولكن ملك من تنتصر في الأخير كالمعتاد وتحصل على أعلى التقديرات.

عندما يكون هناك تجربة في المختبر ينقسم الطلاب والطالبات إلى مجموعات، ملك تختار مجموعة وندى تختار المجموعة الأخرى، ومن هنا تبدأ الحرب مجموعة ملك تحاول أن تصل إلى النتيجة بشكل أسرع وممتاز، ومن ناحية أخرى ندى لم تستسلم لتحصل عن نتيجة التجربة في وقت أقل من مجموعة ملك، المنافسة تولد الصداقة بينهما مع مرور الأيام وقد مر على صداقتهما إلى ما يقرب من أربع سنوات، وفي ساعات الراحة بين المحاضرات تجلسان لكي تدرسان أو تتحدثان في أمور مختلفة، لكن هناك حديثا واحدًا فقط دائمًا ما كانتا تختلفان فيه حتى إن ملك أصبحت لا تتحدث عنه مع ندى، ألا وهو الحديث عن ذلك الشاب الوسيم شادي فهو غني وملابسه أنيقة جدًا، متوسط الطول حنطي البشرة ذو لحية خفيفة شعره أسود وله عينان ذات لون أزرق داكن، من ينظر إليه يشعر بمدى الثقة والغرور بالنفس فمعظم فتيات الجامعة يتمنون منه نظرة واحدة، لكن هو لم يكترث لهم جميعًا، واستطاع أن يكسب قلب أذكى فتاة في الكلية ألا وهي ملك، من ناحية أخرى تنظر إليه ندى بأنه فتى مغرور ولا يستحق أن تهتم به الفتيات لتفاهته فهي فتاة تنظر إليه بنظرة الفاشل لأنها متفوقة، وبسبب اختلاف الرأي والشد والجذب في الحديث عن شادي، قررت ملك ألا تتحدث عنه كثيرًا أمام ندى حتى لا تخسر صديقتها، وأيضًا ملك شعرت أن ندى تغار منها لأن شادي محبوب من جميع الفتيات، وهي وندى تتنافسان في أمور عديدة، لذلك تصورت ملك من الممكن أن تكون

ندى تريد منافستها وتأخذ شادي، لذلك تريد منها أن تكرهه لكي تكسب هي قلبه، لكنها لا تعلم بأنها تكره غروره فقط فهي فتاة بسيطة تحب البساطة.

الفصل السادس
مرحلة الجامعة

في صباح يوم مشرق والسماء الزرقاء الصافية، تصل ندى إلى الجامعة مبكرًا، وقبل ساعتين من بدء المحاضرة تجلس في كافتيريا الجامعة، وبكل هدوء تخرج كتابا عن الكيمياء الحيوية وتبدأ القراءة حيث إنها تحب القراءة كثيرًا، ينظر إليها شادي وهو جالس على الكرسي بالطاولة الأخرى مترددًا، هل يتحدث إليها أم لا، ويفكر هل أذهب إليها؟ وماذا سوف أقول لها؟ وكيف أفتح معها الموضوع، ثم يتخذ القرار ويقف أمامها مشيرًا بيده أهلًا ندى.

ترد ندى:

- مرحبًا شادي.

ثم تكمل القراءة.

-: هل يمكنني الجلوس قليلًا؟

- لا.

رد شادي بصوت منخفض وهو في قمة الإحراج:

- كيف ترد عليّ هكذا بقلة ذوق.

ندى تسمع همهمته قائلةً:

- هل تقول شيئا؟

شادي يفكر في لحظة يجب أن أربط الموضوع بملك، عندها سوف تستمع إلي، ثم يقول لها:

- لا، فقط كنت أريد أن أكلمك عن ملك.

-: ملك!!!

شادي يجلس على الكرسي ويكمل حديثه:

- نعم ملك، صديقتك.
-: من سمح لك بالجلوس على الكرسي؟؟؟
- اهدئي قليلًا يا ندى، أنا بصراحة، وبصراحة شديدة معجب بك.
ندى تضع الكتاب من يدها وعلامات الدهشة تملأ وجهها قائلة:
- أحقًا أنت معجب بي أم أنك تمزح؟
- أنا لا أمزح يا ندى.
- وماذا عن ملك؟
رد شادي بلهجة السخرية:
- ملك أنا معجب بها فقط من أجل شيء محدد، وسوف أخبركِ عنه فيما بعد.
- ألست خائفًا أن أخبر ملك، وأقول لها إنك معجب بي وليس بها.
شادي وهو واثق من نفسه:
- لست خائفًا يا ندى، لأنك إذا قلت لها أي شيء يسيئ لي لن تصدقك، لأنني كنت أقول لها إنك تغارين منها لأنني أحبها ولا أحبك، وعندما كنتِ تقدمين لها النصيحة في الابتعاد عني، كنت أجيبها أنك تريدين أن تبعديها عني لكي تكسبي قلبي وتجعليني أحبك.
ندى تبتسم ابتسامة هادئة خفيفة:
- أعجبتُ بصراحتك وجرأتك وثقتك بنفسك.
شادي يشعر بالسرور عما قالته ندى عنه:
- وعندما تعرفيني أكثر سوف تحبينني بجنون، أنا أحبك كثيرًا يا ندى منذ أن كنا في السنة الأولى وكنت أخاف أن يأخذك مني أحد، فأنا لم أسمح لأحد أن يستحوذ على قلبكِ غيري.

- وماذا عن ملك؟
شادي بصوت مرتفع قليلًا قائلًا:
- أنتِ في كل مرة تقولين لي ملك، ملك، أعتقد أنك فعلًا تشعرين بالغيرة منها، لا تقلقي فأنا أحبك أنتِ ولا أحد سواكِ.
ندى تبتسم بسخرية:
- صراحةً جعلتني أشعر بالطمأنينة الآن بأنك فعلًا تحبني، أنا مندهشة جدًا من أنك تحب صديقتي وتريد مني أن أقتنع أنك لا تحبها، وتحبني أنا، وأنتَ تعرف جيدًا أنني أعلم أنك من جعلتها تُحبكَ وبادرت بالتقرب منها وليست هي من كانت تسعى لكسب قلبك، ثم تأتي بكل بساطة تريد أن أصدقك أنك تحبني، ثم تكون صورتي أمام نفسي صديقة خائنة لصديقتها وأكسر قلبها وأكون أنا النذلة، أليس كذلك؟
شادي يشعر أن ندى فهمته خطأ:
- لا لا طبعًا يا ندى، أقسم لكِ أنني فعلًا أحبك أنتِ، وأنا مجبور على حبي لملك.
-: فعلًا أنت مجبور ومن أجبرك أيها الطفل أمك أم أبوك؟؟
-: أرجوكِ ندى لا تستهزئي بي أنت لا تعرفين شيئا وعندما تعرفين الحقيقة سوف تعذرينني.
ندى ترفع الكتاب من على الطاولة وتضعه في حقيبة يدها وتقف، قائلةً لشادي:
- إلى أن تقول لي ما الذي يجبرك على ملك نحن زملاء دراسة وإياك أن تتخيل أن تتعدى علاقتنا حدود الزملاء، أنا لست من الفتيات اللاتي يمكن أن تخون صديقتها من أجل شخص يحبها.

وبمجرد أن انتهى حديث ندى مع شادي، تغادر ندى من الجامعة ولا تحضر محاضرتها وتغلق هاتفها وتذهب إلى البيت، تحاول ملك الاتصال بها لكن هاتف ندى خارج الخدمة، تجلس ندى على أريكتها المفضلة في الصالون أمام التلفاز تشاهد فيلما كرتونيا في منزلها وبيدها كوب دافئ من الشوكلاتة الساخنة وهي تفكر هل تخبر ملك بالحوار الذي دار بينها وبين شادي أم تصمت حتى لا يزيد التوتر بينها وبين ملك، ندى حائرة ثم تتخذ القرار تضع كوب الشوكلاتة الدافئ على الطاولة، وتقوم بفتح هاتفها المحمول وتتصل بملك فتقول لها إنها فجأة أصيبت بالتعب وهي في الجامعة ولم تستطع حضور المحاضرات، وسوف تقوم بدراسة ما فاتها من المحاضرات غدًا، وتغلق المكالمة معاها، وبذلك قد قررت ألا تخبر ملك بشيء.

تمر عدة أسابيع هادئة تنشغل فيها ملك وتركز أكثر على دراستها فقد أتت فترة الاختبارات وتضع ملك أمامها هدفًا أن تحصل على أعلى الدرجات لتصبح معيدة مثل أمها، ومن الجهة الأخرى لم تستلسم ندى لتحصل على ذلك المنصب، صورة من صور الصداقة التي تعكس احتراما من نوع آخر، فالمنافسة الشريفة مطلوبة لأن ذلك يعطي طعمًا مميزًا لمعنى الصداقة واحترام الصديق أثناء المنافسة ما يزيدها رونقًا وجمالًا، فمثلًا عندما تحصل ندى على درجة عالية في امتحان مقرر من المقررات لا تتباهى بذلك أمام ملك وتتصرف كالأطفال وتغيظها بل بالعكس تدعم صديقتها ونفس الشيء تقوم به ملك مع ندى مما يعكس نوعًا خاصًا وجديدًا في الصداقة، فالصداقة لم تخلق لكي أتباهى على أصدقائي وأظهر لهم أني أفضل منهم ماديًا أو علميًا بل ما يجب أن نتباهى به فعليًا الأخلاق والأدب.

أثناء خروج ندى وملك من الجامعة تقول ملك لندى:

- أكثر من ثلاث سنوات على صداقتنا ولم تأتِ لزيارتي في بيتي أو أنا أزورك في بيتك!

فترد ندى:

- حسنًا، ما رأيك أن تأتي إلى بيتي الآن؟ فأنتِ تعلمين أن أهلي مسافرين، ولا يوجد من يزعجنا وندرس في هدوء.

- موافقة، ولكن سأتصل بخالتي، وأقول لها إنني سوف أذهب معك إلى بيتك وندرس قليلًا.

ثم تتصل ملك بخالتها وهي بالطريق ذاهبة مع ندى إلى بيتها لتأخذ الموافقة منها.

في بيت ندى. . . وأثناء تحضير ندى القهوة اللاتيه لها ولملك
ملك تنظر في أرجاء البيت قائلةً:
- أتعلمين يا ندى أن بيتك جميلًا جدًا تصميمات الألوان والديكور بالرغم من أن اللون الأسود واللون الأبيض في معظم الأثاث وديكورات البيت إلا أنه جميل، ونظام المطبخ الأمريكي كأن تصميم بيتك مأخوذ من فيلم سينمائي أمريكي الطراز، بالإضافة إلى الهدوء والموسيقى الهادئة التي تقومين بتشغيلها أشعر بحالة من هدوء الأعصاب أنتِ من قمتِ باختيار ذلك التصميم والديكورات أليس كذلك؟؟
- نعم، فبعد سفر أهلي بعثوا لي المال فقمت بتغيير البيت وديكوراته بهذا الشكل.
- كنت متأكدة بنسبة مئة بالمئة أن ذلك ذوقك.
- وما الذي جعلك متأكدة بهذا الشكل؟
ملك تأخذ كوب القهوة الخاص بها وتتجه في وسط البيت في الصالون، قائلةً:
- لأن تصميم البيت كلاسيكي بالدرجة الأولى وأنتِ عكستِ ذوقك الكلاسيكي على البيت ألا ترين نظاراتك السوداء الكلاسيكية الشكل، وملابسك واختيارك لألوان ملابسك فألوانها تكون إما أسود أو أزرق داكن، ماذا عن الأحمر والوردي والأصفر؟؟
تتجه ندى إلى ملك وتجلس على الكرسي وتنظر إلى ملك وهي واقفة قائلة لها:
- كل شخص يرتدي ما يريد، فتقييم الأشخاص ليس بملابسهم وشكلهم.
ملك تجلس بجوارها.
- الصراحة يا ندى أنتِ محظوظة تلبسين ما تريدين، وتفعلين ما تريدين،

دون تحكمات من أحد كل هذا الهدوء في بيتك أتمنى أن يكون عندنا.
- ألستِ تعيشين مع خالتك لوحدكما كما قلتِ لي مسبقًا إذن أنتِ كذلك تعيشين في نفس الهدوء.
ملك تضع كوب القهوة على الطاولة:
- لا، يختلف الأمر يا صديقتي، فأنا لدي أهل أبي يزورونا كل إجازة في البيت، وعندما يزداد ترحيب خالتي بهم يزداد عدد ساعات الإزعاج والملل، وقد قالت لي خالتي: إن الزيارات زادت عندما توفيت والدتي لأنهم شعروا بتأنيب الضمير المفاجئ. المهم دعينا من تلك الأمور لدينا دراسة يجب أن ندرس جيدًا للتحضير للامتحانات.

الفصل السابع
يوم الميلاد

بعد انتهاء امتحانات منتصف السنة. . وفي بيتٍ يدور حوار بين ملك وخالتها.

- ما رأيك أن نقوم بمفاجأة لندى في يوم ميلادها؟

- ولماذا لا تقومين بالمفاجأة مع صديقاتها وتذهبن إليها أنتن؟

- أنا صديقة ندى الوحيدة لأن ندى محدودة العلاقات.

- أنتِ تعلمين أنني كبرت في العمر وأشعر بالتعب بسرعة من أقل مجهود ومن الصعب عليّ تلك الأمور، الذهاب إلى بيت صديقتك، وشراء أغراض لها، وعمل مفاجأة.

- أي تعب يا خالتي؟ أولًا: بيت ندى قريب من بيتنا، وثانيًا: أنتِ مازلتِ شابة وجميلة حتى إنني أفكر أن أبحث لكِ عن عريس.

خالتها تضحك ثم تقول لها:

- بخصوص العريس يا جميلة الجميلات، ألن يأتي الأستاذ شادي ليتقدم لك؟؟

- لا تقلقي يا خالتي سوف يأتي إن شاء الله بعد أن نتخرج.

- أنا خائفة منه، لأن هناك كثير من الشباب يلعبون بالفتيات هذه الأيام.

- لا يا خالتي لا تقولي هذا، أنتِ هكذا ستجعلينني أقلق، شادي إنسان محترم ومهذب وهو ليس من هذا النوع من الشباب.

- إذن، سوف نرى.

جاء يوم ميلاد ندى، ملك وخالتها قاموا بتجهيز كل شيء، الكعكة والطعام، وقاموا بشراء الزينة وذهبوا إلى بيت ندى، ثم قامت ملك بالضغط على الجرس، ندى تفتح الباب لتجد أمامها ملك.

-: مفاجأة!!
وتدخل ومعاها أكياس تحتوي على أشياء كثيرة. تقول ندى في ذهول:
- ما كل هذا؟!
-: معقول أنسيتِ اليوم يا ندى!! إنه يوم ميلادك يا قمر.
ردت ندى بصوت منخفض وهي تغلق باب الشقة وتنظر لملك:
- يوم ميلادي!!
ولكن أحدا يمسك بالباب من خارج الشقة فلا تستطيع ندى غلقه، خالة ملك:
- نعم يوم ميلادك، كل عام وأنتِ بخير.
ندى لا تنظر لخالة ملك وهي تقف وراءها، وتقول ندى لنفسها:
- كل شيء سيكون على ما يرام لا تقلقي يا ندى!!!
ثم تقوم ملك بحسب خالتها أمام ندى قائلة:
- هيا يا خالتي ادخلي.
ثم تمسك ملك بكتف خالتها قائلة:
- أقدم لك خالتي، وهذه صديقتي ندى دائمًا ما أحدثك عنها.
دقائق من الصمت أمام عتبة البيت، عيون الحيرة والتوتر تسيطر على ندى ومن ناحية أخرى الصمت والدهشة يسيطران على ملك.
-: ما بك يا ندى؟ هل المفاجأة لم تعجبك أم ماذا؟؟
ندى تبتسم قليلًا وكأن الابتسامة لا تريد أن تخرج:
- لا، بالعكس لقد أعجبتني بالتأكيد تفضلوا بالدخول.
تغلق ندى الباب ويجلسوا جميعًا، أجواء من الاحتفال جميلة ورائعة وملك في غاية الفرحة، وندى سعيدة أيضًا، ولكن بين الحين والآخر هناك نظرات

من الشك وعدم الارتياح بين خالة ملك وندى دون أن تلاحظ ملك تلك النظرات.

تأتي لحظة إطفاء الشموع. . لتقول ملك لندى:

- تمني أمنية.

تغمض ندى عينيها لتطفئ لتتمنى الأمنية ثم فجأة تقول ملك:

- لا، انتظري قليلًا، تمني أن يحتفل معك أهلك دائمًا بعيد ميلادك ويعودوا بالسلامة.

فتتكلم خالة ملك وهي تنظر إلى ندى:

- يبدو أن تلك الأمنية ستكون أسرع أمنية تتحقق لندى أليس كذلك؟!

تندهش ملك من مقولة خالتها فتبتسم خالتها:

- لأننا معكِ ونحن مثل أهلك تمامًا.

تضحك ملك:

- نعم يا ندى نحن مثل أهلك تمامًا، هيا أطفئي الشموع.

ثم تطفئ ندى الشموع وتنتهي أجواء الاحتفال، وعند خروج ملك وخالتها من البيت خالة ملك تقول لندى:

- أريد أن أراكِ مرة ثانية.

-: بالتأكيد حضرتك.

- ماذا؟؟ حضرتك؟! لا داعي للرسميات يمكن أن تقولي لي مثل ملك يا خالتي فأنتِ مثل ابنتي.

-: شكرًا لكِ لأنني أصبحت مثل ملك عندكِ.

تسلم ندى عليها وتحتضنها، وتعود ملك وخالتها إلى بيتهم، لينتهي يوم مليء بالفرحة والسعادة مع قليل من نظرات الحيرة والدهشة.

الفصل الثامن
الصدمة

اليوم عودة الطلبة إلى الجامعة بعد إجازة منتصف الفصل، الجو غائم والسماء ملبدة بالغيوم وكأنها سوف تمطر، ملك تتجه إلى غرفة المختبر لتقوم ببعض التجارب على مشروع التخرج الخاص بها، لتقف أمام باب المختبر والدموع تملأ عينيها ثم تتساقط الدموع على خديها بدلا من سقوط المطر، تنهمر الدموع والحزن خيم على عينيها، فهي شاهدت شيئا جعلها من كثرة الصدمة والحزن تمشي في صمت دون أن يلاحظها أحد، فقد شاهدت شادي وهو جالس على الأرض وبين يديه خاتم من الألماس يقدمه لندى، وقد كانت ترتدي الروب الأبيض وبيدها أنابيب المختبر، ويقول لها:

- أنا أحبك، أتقبلين أن أكون زوجًا لكِ يشارك كل لحظة سعادة وحزن في حياتك؟

لم تستطع ملك تحمل ذلك المشهد تخرج من الكلية متجهة إلى البيت، وفي أثناء طريق ذهبها إلى البيت تتذكر كل ذكرياتها مع شادي خلال السنوات الثلاثة الماضية منذ أن تعرفت عليه ومحاولاته المتكررة في التقرب منها والدموع تنزل لا إراديًا أثناء تذكرها، تتذكر عندما كان يقف أمام العمارة التي تسكن فيها، وفي وقت الشتاء والسماء تمطر بغزارة يتصل بها ثم يطلب منها أن تقف في شرفة المنزل ويقول لها:

- أنا أحبك.

- أجننت، تقف في المطر، لتقول لي أنك تحبني.

- اعذريني فقط كان قمري غائبًا، بسبب تلبد السماء بالغيوم الممطرة، وكنت أريد أن أراه لأقول له كم أنا أحبه، ولا أطيق أن يغيب عني كل هذه المدة.

وتتذكر عندما كان يجلب لها في كل يوم وردة بيضاء اللون، وعندما كانت تسأله لماذا اللون الأبيض وليس الأحمر، فكان يقول لها: اللون الأبيض لصفاء القلوب والطيبة ولم أجد أجمل وأطيب منك لكي أهديه ذلك اللون.

لحظات من الحب الصافي النقي الجميل عاشتها ملك مع شادي، لتستفيق على حب مزيف، ولحظات كانت كلها تمثيل كالذي نشاهده في التلفاز.

ثم تصل إلى البيت لتدخل إلى غرفتها مباشرة دون أن تلقي السلام على خالتها وتغلق باب غرفتها بالمفتاح، فتطرق باب غرفتها خالتها قائلة:

- ما بك يا ملك؟ لماذا رجعتِ إلى البيت مبكرًا؟ هل هناك شيء حدث؟

ثم تقترب من الباب فتسمع صوت بكاء ملك فتزيد خالتها الطرق على الباب:

- افتحي الباب يا ملك. .

ثم تبكي سميرة:

- أنا لا أتحمل أن أرى دموعك افتحي يا ابنتي.

فترد ملك وصوتها حزين ويخرج الكلام بصعوبة:

- اتركيني قليلًا يا خالتي، فأنا لا أقدر على التحدث مع أحد الآن.

وبعد الإلحاح من خالتها تفتح ملك باب غرفتها وتحضن خالتها، وتبكي بحرقة كالطفل الصغير الذي فقد أمه وتحكي لها عما رأته.

فتنام ملك من كثرة البكاء وخالتها بجوارها، وبعد ذلك تخرج خالتها بكل هدوء من الغرفة حتى لا تستيقظ ملك، ولكن قبل خروجها تأخذ الهاتف المحمول الخاص بملك، وتطفئ نور الغرفة، تدخل سميرة غرفتها وتأخذ رقم ندى من هاتف ملك ثم تتصل من هاتفها على ندى.

تستقبل ندى مكالمة من رقم غريب وهي خارجة من باب الجامعة:

- أهلًا، من معي؟
- أريد أن أراك ضروري.
- من يتحدث معي؟
- أيعقل أن تكوني نسيتي صوتي!!
- حاضر، متى وأين تريدين أن نلتقي؟؟
- في بيتك، أنا قادمة إليك بعد نصف ساعة من الآن.
- سوف أنتظرك.

تذهب سميرة إلى بيت ندى ثم تطرق الباب فتدخل وتجلس وتتحدث بلهجة حادة:

- وماذا بعد؟؟

ندى بنظرات حائرة:

- ماذا تقصدين؟
- ما الذي تريدين أن تصلي إليه بالتحديد؟
- لا أريد أن أصل لشيء.

سميرة تقف وتصرخ في وجه ندى:

- لا تقومي بدور البلهاء يا ندى، أم أفضل أن أناديكِ مها؟؟ قولي لي ماذا تفضلين أن أناديكِ؟ اسمعيني جيدًا تقومين بالتمثيل بشخصية ندى أم غيرها، ويقولون عنك متِ وفجأة تعودين من الموت، وتمثلي على ابنتك أنك صديقتها، كل هذه الأشياء أنا ساكتة عنها ولم أهتم بها، ولكن تتجرئي وتأخذي من ابنتك الإنسان الذي تحبه وتريد الارتباط به، هذا الذي لا أستطيع السكوت عنه أبدًا أفهمتي يا مها؟؟
- هل من الممكن أن تهدئي قليلًا لكي أستطيع أن أفهمك؟

- أعندك علم أن ابنتك مجروحة؟ ابنتك نامت الليلة والدمعة في عينيها وأنتِ السبب.

مها بصوت منخفض مصدومة:

- بسببي أنا!!

- نعم، بسببك لأنها شاهدتك اليوم وشادي يعترف لك بحبه وأنه يريد أن يتزوجك.

مها تقف أمام سميرة:

- فهمت الآن ولكن ملك لم تفهم الموضوع بالشكل الصحيح، سوف أشرح لك. . .

سميرة تقاطع كلام مها وتصرخ في وجهها:

- يكفي يا مها كذب، هل تعتقدين أنك أم وتخاف على ابنتها، أتعرفين أنتِ من الأساس لا تعلمين شيئا عن ملك ولا شيء أتعلمين ماذا تحب؟ وماذا تكره؟ أتعتقدين أنك أم!! هل تستطيعين أن تقولي لها أنك أمها؟ بالتأكيد لا، ماذا سوف تقولين لها أخبريني هيا؟ هل ستقولين لها أنك عدت لكي تنافسيها على الإنسان الذي تحبينه؟ وهل ستصدق فعلًا أنكِ أمها؟ وأنت بهذا الشكل، يا ليتك تخرجين من حياتنا، وتعودين إلى المكان الذي كنتِ فيه، بدل ما أنتِ مثل النصابين بوجهين وبتصرفاتك الغبية هذه سوف تدمرين حياة ابنتك.

مع كل كلمة تقولها سميرة الدموع تملأ عين مها، تريد أن تسقط لكن مها تمسك نفسها بصعوبة فهي ذات شخصية قوية. وبعد أن انتهت سميرة من الكلام تتجه إلى باب لكي تخرج، ثم تستدير إليها قائلة لها:

- صحيح نسيت أن أبارك لك على نجاح إكسير الجمال الآن علمت أنك

صنعت إكسير الجمال لكي تحبي وتتزوجي من شخص في عمر ابنتك، لكي تعوضي ما فاتك فأنتِ لم تستطيعي أن تتزوجي من شخص تحبينه.
تذهب سميرة، وتترك مها لا تنطق بحرف فالكلام لا يريد أن يخرج، مها تجلس على الكرسي وهي تبكي متألمة، وتصرخ، ثم تقف، وتبدأ في كسر بعض أغراض البيت كالمجنونة ثم تجلس على الأرض حزينة خائفة، فعندما نُحمل شخص هادئ طوال الوقت فوق طاقته، يأتي عليه لحظة يثور كالبركان.
وفي نفس الوقت تجلس ملك حزينة على سريرها لا تريد أن تتناول الطعام، وأيضًا خالتها سميرة تحاول أن تهدئها ثم تخرج من غرفتها لتجلس في الصالة لتفكر فيما حدث اليوم.
فعلًا إنها ليلة طويلة على الثلاثة، الليل الحزين الطويل والنظر إلى عقارب الساعة قاتل فقط تريد أن يأتي النهار ربما إشراقة الشمس تزيل دموع عتمة الليل.

الفصل التاسع
فراق ولكن بالإكراه

في اليوم التالي، تقف مها بسيارتها السوداء أمام منزل سميرة، لترى ابنتها وهي تغادر المنزل، ثم تنزل مها من سيارتها وتصعد إلى المصعد متجها إلى الدور الثالث حيث إن الشقة التي تسكن فيها سميرة وملك، تقع في الدور الثالث.

تقف مها أمام باب الشقة، وتضغط على الجرس، تفتح سميرة الباب، وعندما تراها تريد تغلق الباب في وجهها، لكن مها تمنعها وتمسك الباب بيدها:

- لقد كنتِ عصبية في الأمس ولم تعطيني فرصة لأقول لك ماذا حدث معي منذ الحادثة حتى الآن.

ثم تدخل الشقة وتجلس، فتغلق سميرة الباب، وتقول سميرة لها:

- قولي ما عندك.

تستكمل مها حديثها وتحكي لها بالتفاصيل:

- عندما كنت أعمل على اكتشاف مركب إكسير الجمال، كنت أدون كل التجارب وكل المركبات التي استخدمتها حتى وإن كانت تجارب فاشلة أكتب كل شيء، وكان لدي صديقة مقربة في الكلية اسمها هالة حكيت لها عن إكسير الجمال والمعمل الذي كان في الشقة، في البداية لم تكن تهتم بالموضوع وسخرت من الفكرة، لكن بعد فترة أدركت أنني فعلًا أعمل على المركب، فبدأت تسألني عن النتائج، وهل توصلت إلى نتيجة أم لا، شعرت بالشك اتجاهها لكن سرعان ما استبعدت الشك لأنها لم تسألني عن تفاصيل المواد المستخدمة فقط كانت تسأل سؤالًا واحدًا عن -ما إذا كنت قد توصلت لنتيجة أم لا؟؟-. قبل يوم الحادث بليلة توصلت فعليًا لنتيجة، وكان الوقت بالتحديد في الليل الساعة الحادية عشر مساءً، وفي تلك اللحظة

اتصلت بي هالة لتطمئن علي، ومتى سوف أرجع من الاجازة؟ ولأنني عندها كما تعلمين عزلتُ نفسي ثلاثين يومًا وأخذت إجازة، وكانت هالة من الحين للآخر تتصل بي لتطمئن علي، فمن شدة فرحتي أخبرتها عن أنني توصلت لنتيجة وبعد الانتهاء من المكالمة، نمت في شقة المعمل ولم أذهب إلى الشقة التي كنتِ فيها أنتِ وملك، لم أكن أريد أن أزعجكم، وخصوصًا أنه وقت متأخر من الليل.

استيقظت في اليوم التالي على اتصال من هالة وكان الوقت الساعة السابعة صباحًا، تقول لي إنها واقعة في مشكلة وإنها تحتاج مقابلتي الآن، وسوف تقابلني في مطعم يقع وراء بيتنا. بدون تردد نزلت مسرعة من البيت لأقابلها فقد كان صوتها يرتجف وخائفة وقد جلعتني أقلق بشدة، انتظرتها أكثر من ساعتين في المطعم، وأحاول الاتصال بها وهي لا ترد، فقررت الرجوع إلى البيت، فوجدت أمام العمارة زحام، والناس تتحدث عن انفجار في الشقة في الدور الأرضي التي يوجد بها المعمل، فقلقت عليكِ لكنني تذكرت أن مفتاح الشقة معي فشعرت بالاطمئنان فمن المؤكد لم يحدث لكِ شيء، ثم رأيت رجال الإسعاف يحملون جثة ويقولون إنهم وجدوها في الشقة، فاقتربت قليلًا فوجدت يد الجثة متدلية ثم رأيت خاتمًا كان بيد الجثة فسقط على الأرض دون أن يلاحظه أحد فالتقطته فصدمت لأن هذا الخاتم لهالة ووجدتك تصرخين وتبكين بحرقة، كنت عندها أرتدي جاكت أزرق داكن بقبعة فوضعت القبعة على رأسي، ووضعت الخاتم في جيب الجاكت، وانسحبت من المكان دون أن يلاحظني أحد لم أتردد في الابتعاد عن مكان الحادث فقد شعرت أن هناك شيئًا خاطئًا حدث، شيء غريب لم أفهمه وأريد أن أهدأ قليلًا لكي أفهم.

توجهت إلى كافتيريا بعيدة عن المنزل، طيلة الوقت وأنا أفكر فيما حدث حتى إن نادل المطعم تكلم معي ليعرف طلبي ولم ألاحظ وجوده، وبعد ترتيب الأحداث وصلت إلى استنتاج أن من المؤكد أن هالة وراءها شيء غير طبيعي ويجب أن أعلمه.

انتهى اليوم وأنا طيلة الوقت بين المطاعم فقط كنت أريد أن يأتي الفجر وقبله بساعة، تسللت إلى البيت دون أن تشعري أنني دخلت أخذت مبلغا من المال الذي في خزنتي وقليلًا من الملابس، وتركت الشهادات البنكية لكِ، لأنني لم أكن أعلم عن طول فترة غيابي وأعلم جيدًا بأنك ستحتاجين إلى المال وخاصة أن راتبك كمدرسة لن يكفي تحملك لمصاريف ملك لوحدك سيكون صعبا عليكِ، ثم استأجرت شقة صغيرة وبعد يومين من الحادث قررت أن أذهب إلى بيت هالة وكنت متأكدة أنهم لن يتعرفوا علي، فأنا لم أذهب يومًا لزيارتها لانشغالي الدائم بحياتي وأبحاثي وعملي، ولم تكن هناك صورة تجمعنا سويًا فأنتِ كما تعلمين، لا أحب أحدا أن يلتقط لي صورا، وعندما ذهبت إلى بيتها وجدت أسرتها قلقين عليها وعلى غيابها، أمها امرأة بسيطة وتعليمها كان متوسطا فدار بيننا الحوار التالي:

سألتني عن اسمي، قلت لها أي اسم، فأجبتها ندى.

ثم تسأل: ولماذا أتيتِ هنا؟؟

فأجبتها: إنني لم أرَ هالة في الجامعة فقلقت عليها فظننت أنها مريضة.

فقالت لي: هالة مختفية من يومين وتحدثت كثيرًا وهي تبكي، ثم تابعت حديثها قائلة: هذا كله بسبب عمتها فهي تعمل في مستحضرات التجميل ولديها مراكز تجميل فقد كانت هالة تجلس كثيرًا مع عمتها، وعندما زاد سؤالي عن ما الذي تتحدث عنه مع عمتها قالت عن سر الجمال أو سر

الحياة. . . .
فقاطعت حديثها وقلت لها: أتقصدين إكسير الجمال.
فردت علي: نعم هذا الإكسير.
أصبحت أشعر بالحيرة أكثر وفجأة جرس البيت يرن ففتح أخوها الباب، فدخلت امرأة في الأربعين من العمر شكلها في غاية الأناقة والجمال وكأنها نجمة سينما ومعها حرس شخصي وملابسها تدل على أنها ثرية ثراء فاحش، فقال أخو هالة: تفضلي بالجلوس يا عمتي، كان هناك فرقا واضحا أن عمتها غنية جدًا، وأسرة هالة من طبقة متوسطة.
وأثناء دخول عمتها البيت وجلوسها في المجلس، سمعنا صوت إزعاج وصراخ الأطفال في الشارع تحت منزل هالة فذهبت أنا وأمها إلى شرفة المنزل، فرأينا الأطفال ملتفين حول سيارة حمراء اللون فخمة، فتكلمت عمة هالة: اتركيهم يا أم هالة وتعالي اجلسي، ثم تضع رجلًا على رجل وتسأل: أليس هناك أخبار جديدة عن هالة؟ أثناء رجوعي مع أم هالة لكي نجلس في الصالة، كنت لا أريد العودة، ولو أستطيع أن أقفز من الشرفة وأهرب لكنت فعلتها، فخطواتي ثقيلة وعلامات التوتر والخوف بدأت تظهر على وجهي لم أعد أسيطر على نفسي كنت أشعر أني في أي لحظة سوف أبكي، فقط كنت خائفة أن عمة هالة تكون قد تعرف شكلي أو تكون هالة أخبرتها عن أسماء جميع صديقاتها، ثم قلت لنفسي: لا يا مها، يجب أن أمسك أعصابي، كل شيء سيكون على ما يرام، فعدت بالسيطرة على نفسي مرة أخرى.
طلبت الإذن من أمها بالذهاب، وأنا ذاهبة إلى الباب، أوقفتني عمتها قائلة: انتظري لحظة، من أنتِ؟؟
فالتفت إليها: أنا زميلة هالة في الكلية.

فسألتني: وما اسمك؟
لا أعرف ماذا أقول لها خفت ذكر أي اسم تكشف حقيقتي، وقد أنقذني الموقف عندما قال أخو هالة بصوت عالٍ لأمه: انظري يا أمي مكتوب في الجرائد أن مها ماتت في شقتها.
فقالت أم هالة: وكيف حدث ذلك؟؟
فقال لأمه: انظري يا أمي مكتوب في الجرائد وفاة معيدة جامعية بسبب معمل سري ودمج مواد قابلة للاشتعال وأول حرفين من اسمها م. أ.
فأخذت الجريدة منه ومثلت عليهم أني متفاجئة: أيعقل مها كان لديها معمل سري؟!!
فسألتني عمة هالة: أنتِ تعرفين مها؟
قلت لها: نعم أنا زميلتها، يجب أن أذهب لأعزي أهلها. وذهبت وتركت عمة هالة وهي منشغلة بالخبر.
بدأت أفكر وأفكر، فعلمت أن هالة من المؤكد أنها نسخت من مفتاح شقة المعمل نسخة فنحن أصدقاء فهي كانت معيدة معي، وكانت مكاتبنا في نفس الغرفة فمن الممكن أنها أخذت نسخة من المفتاح دون ملاحظتي وهكذا استطاعت دخول الشقة ومن حرضها على فعل ذلك عمتها، بدأت بمراقبة عمة هالة بنفسي وعرفت عنها معلومات دون أن تلاحظ، فقد كانت منشغلة بموتي وفقدان هالة، وقد وضعت عمة هالة مراقبة عليكِ وعلى ملك حتى بعد انتقالكم السكن الجديد.
سميرة مصدومة وتقطع حديثها:
- لا لا لا، لحظة أنا لا أستطيع استيعاب كل هذا أنتِ مدركة لما تقولين.
-: نعم، عمة هالة أو نهى، كانت تعتقد أن تركيبة إكسير الجمال معكِ،

وهي لم تحرق بعد، لأنها عندما دخلت الشقة المحروقة علمت أنني كنت أكتب كل شيء فقد وجدت بعض الورق جزء منه محروق والجزء الآخر سليم، بعد سنوات من المراقبة بدأت تختلف الطريقة لتضع شادي أمام ملك، وشادي هو ابنها درس كلية حاسبات ومعلومات ثم جعلته يدخل كلية علوم ليراقب ملك وتكون تحت عينيه وبذلك تكون المراقبة أدق وأقرب.

-: أتريدين أن تقولي أن نهى هذه لديها وقت فراغ لدرجة أنها تراقبنا لمدة أكثر من ستة عشر عامًا؟

-: نعم، عندما وجدت الورق المحروق اعتقدت أنه هناك نسخة ثانية معكِ حتى ولو بنسبة ضئيلة فهي تستغل أي فرصة أمامها لتصل إلى ما تريد وبأموالها يمكن أن تفعل أي شيء، وزادت النسبة بأن تجد التركيبة عندما علمت أن ملك دخلت كلية العلوم حيث هنا تأكدت أنك أخبرت ملك بالتركيبة وسوف تقوم ملك بإكمال الشيء الناقص لتصل إلى التركيبة.

بالإضافة إلى كل ما قلته لكِ هي تمتلك معامل سرية ويعمل في تلك المعامل الباحثين والخارجين الذين لم يجدوا فرصة عمل يقومون بعمل أبحاث مختلفة، ومن ضمن تلك الأبحاث ما كنت أعمل على اكتشافه، ومن يتوصل منهم إلى نتائج تمنحه مكافأة وأيضًا الرواتب الشهرية عالية، وهي تمتلك وكالة لمستحضرات تجميل عالمية ولديها مراكز تجميل وشركات أخرى. . .

تقاطع مرة أخرى سميرة حديث مها:

- وكيف علمتِ بكل تلك المعلومات أيعقل أنه عندما قمتِ بمراقبتها عرفتِ المعامل السرية والتفاصيل الدقيقة التي تخبريني بها؟؟

مها تنظر إلى سميرة ونظرات الخوف من الإجابة على سؤالها:

- من فضلك رجاءً دون عصبية.
ثم تأخذ نفسا عميقا:
- أنا فعليًا أعمل معها.
تظهر علامات الغضب على سميرة فتقول مها:
- دعيني أكمل حديثي ولا داعي للعصبية، في البداية من كان يعمل معاها ظلوا يراقبونني وقاموا بجمع معلومات عني وعن أهلي وكنت أعلم أنها سوف تقوم بذلك فرتبت أموري قبل العمل معاها، فزورت شهادة جامعية باسم ندى، وقمت بعمل شهادة ميلاد باسم ندى وقد حصلت على ذلك الورق عن طريق دفع النقود، لكي أحصل على ما أريد، وفي الوقت الذي حصلتِ فيه على شهادة وفاتي، كنت استلمت شهادة ميلاد ندى.
ثم عملت معها في إحدى الشركات التابعة لها وقد لاحظت أني ذكية ومجتهدة فقررت أن أعمل معاها في المعامل السرية.
-: وشادي؟؟
-: ما به؟
-: يعمل مع أمه؟؟
-: ينفذ أوامر أمه ولكن لا يعلم بأمر الأبحاث السرية.
-: لا أقدر أن أتحمل ما تسمعه أذني، من المؤكد المعامل السرية هذه تقوم بأبحاث مخالفة للقانون أليس كذلك؟؟
-: بالضبط كما قلتِ الآن، أبحاث وتجارب مشبوهة مثل تمامًا أن هناك مافيا المخدرات، ومافيا تجارة الأعضاء، هناك مافيا للمواد الكيميائية والتجارب والأبحاث، وقد قررت أن أستمر بالعمل معاها خوفًا عليكم لكي أعلم كل ما يدور في رأسها حتى أصبحت المساعد الأول لها ويدها اليمين.

سميرة تضحك بصوتٍ عالٍ وتشير بيدها:
- أحسنت يا مها، كنت حزينة على حياتك الروتينية العادية المملة، رأيت القدر رسم لكِ تغيرات في حياتك كما تريدين فأصبحت مساعدة زعيمة عصابة.
-: أرجوك أن تهدئي، الموضوع لم يكن بيدي أنا كنت فقط أقوم بعمل إكسير الجمال، ولم يكن له أي علاقة بالأبحاث المخالفة للقانون وأنا كنت سأعطيها التركيبة وطريقتها لكن بعد أن علمت بما تفعله، فهي تقوم بخطف أولاد الشوارع ليكونوا فئران تجارب على أبحاثها، أو أشخاص فقراء بحاجة إلى المال، فهي تريد أن تحصل على نتائج سريعة في جميع أبحاثها لا تنتظر حتى تجد مفعولها على الحيوانات ثم تستخدمها على البشر بل تنفدها على البشر مباشرة، وهناك أبحاث أخرى إذا تحققت سوف تضر بالبشرية، وعندها قررت ألا أعطيها أي شيء وعملت معاها فقط للحفاظ على حياتكم، أرجوكِ لا تأخذي عني فكرة أنني شخصية سيئة.
-: أهدأ، كيف أهدأ؟؟ بعد كل الذي سمعته الآن.
-: لا تجعليني أندم أنني حكيت كل ما حدث.
-: ليتك لم تحكي، فقد زاد قلقي على ملك وعليكِ، لماذا تفعلين بي ذلك فأنتِ تعلمين جيدًا أنني لست بقوتك!! أشعر بأنني خائفة، والمسكينة ملك ماذا أقول لها؟ ذنبها الوحيد أنك أمها، أحبت شخصًا يلعب بمشاعرها وهي لا تعلم.
-: أحذرك أن تقولي لها شيئا الآن، إن قلتِ شيئا فمن الممكن أن تعرضي حياتنا جميعًا للخطر، فملك صغيرة في السن ويمكن أن ترتكب حماقة نحن بغنى عنها الآن.

ردت مها بصوت حزين:
- أتعتقدين أني أم قاسية ليس لدي مشاعر، لكن ما لا تعلمينه أن قلبي يتألم ومن كثرة الألم أشعر وكأنه يتمزق لأنها تقع في مشاكل ولا تعلم ما سببها، والآن أنا أمامها متهمة بالخيانة والكذب.
سميرة تنظر إلى ساعة الحائط:
- اذهبي يا مها، فاليوم ملك لديها محاضرة واحدة وسوف تأتي بعد قليل، وإذا رأتكِ لن نستطيع أن نبرر لها وجودك هنا.
-: المهم ألا تقلقي ولا تظهري ذلك لملك، فأنا أسيطر على الوضع بشكل جيد، فقد استأجرت حراسة عليكم أربعة وعشرين ساعة وفي نفس الوقت أراقب تحركات نهى وابنها.
مها تقف من على الكرسي وتتجه نحو الباب لتخرج من المنزل، سميرة توقفها وتمسك بيدها والدموع تملأ عينها قائلة:
- لحظة مها، لا أعلم أنت قاسية، أم أنا رومانسية بزيادة. .
ثم تشير بيدها تجاه قلب مها:
- وأنتِ مازال قلبك مثل الحجر لا تبكين بسهولة مثلي، وكأن كل ما حكيته بسيط وسهل، ولكنني خائفة عليكِ فأنتِ في بيت الأفاعي، خذي حذرك جيدًا فأنا لا أريد أن أخسرك مرة ثانية.
ثم تحتضنها. . تخرج مها من البيت والدموع تنهمر من مقلتيها كالشلالات، فمها بالرغم من صلابتها وقوتها أمام أختها ففي الأخير لديها قلب حزين على الفراق بالإكراه دام أكثر من ستة عشر عامًا.

الفصل العاشر
لن أسمح لأحد أن يؤذيكِ

بعد عدة أيام من اللقاء الذي جمع بين مها وسميرة، يأتي اتصال مفاجئ لمها من سميرة، فترد مها.

-: أنقذيني يا مها، ملك اخْتُطفت، هناك أحد اتصل بي، وقال لي إنه خطف ملك، وحذروني أن أبلغ الشرطة وبعد فترة سوف يتصلون بي مرة أخرى ليقولوا لي ما هي طلباتهم!

- لا تقلقي يا سميرة أنا أعلم من خطفها، المهم اسمعيني جيدًا، ما أن تستقبلي المكالمة الثانية اتصلي بي مباشرةً وبلغيني ما الذي يريده منك.

- أنتِ تعرفين من الذي خطف ملك!!! لماذا لم تتصلي بالشرطة؟؟

- قلت لك لا تقلقي، وليس لدي وقت للإجابة عن أسئلتك الآن، يجب أن تغلقي المكالمة معي ربما يتصلوا في أي وقت ويكون الخط مشغولا، مع السلامة.

ثم تغلق المكالمة مع سميرة. . نظرات الغضب تشع من عين مها، وكأنها أسد يريد أن يلتهم ويقطع فريسته، فهي تقف على بعد عدة أمتار وتنظر إلى ملك وهي مكبلة اليدين جالسة على كرسي في أحد المخازن، المكان شبه مظلم فالإضاءة خافتة. . تنظر ملك وعلامات الدهشة على وجهها، ثم تقول:

- ماذا تريد مني، لماذا خطفتني يا شادي؟

شادي ملتزم الصمت وبيده مسدس، ثم تقول ملك:

- أخطفتني لتجبرني على الزواج منك بعد أن علمت بحقيقة حبك لندى؟

-: اصمتي قليلًا، أنا فقط أنفذ الأوامر.

-: أوامر من؟

ثم تدخل نهى، وكعادتها فبالرغم من كبر سنها مازالت ترتدي الكعب العالي

وملابسها الأنيقة ذات الألوان النارية فإنها ترتدي فستانًا أحمر قصيرا لونها المفضل، ولأول مره تراها ملك. . فتقول نهى وهي تبتسم:

- أوامري أنا، لماذا أنتِ خائفة يا ملك هكذا وتبكين لا تقلقي فالموضوع بسيط وسوف تعلمين ماذا أريد الآن.

ثم تأمر شادي بالاتصال بسميرة، ثم يعطيها الهاتف. . سميرة ترد على المكالمة، فتقول لها نهى:

- أهلًا سميرة، كما تعلمين ملك معانا، لا تقلقي فهي بخير ولكن إن لم تفعلي ما نريد لن تكون بخير. . . .

سميرة تقاطعها:

- من أنتم؟ وماذا تريدون؟

-: لا أحب الأسئلة الكثيرة، نفذي فقط بلا نقاش، تجلبي لي تركيبة إكسير الجمال. . . . .

سميرة تقطع حديثها مرة أخرى:

- أنا لا أعرف شيئا عن التركيبة.

نهى منزعجة من مقاطعتها لحديثها:

- لأنك تقاطعين كلامي ومستعجلة دائمًا ستجعلينني أغضب، وعندما أغضب لا أعلم ما سأقوم به اتجاه ملك، دعيني أكمل حديثي أولًا أيتها الغبية، مها أختك الله يرحمها لديها خزنة سرية في البنك الذي كانت تتعامل معه، أنا أريد كل الموجود في الخزنة، وأنت من سيجلب لي ما في الخزنة، لأن لديك توكيل من أختك، وأريد أن تكون الأغراض عندي في خلال ساعات من الآن، وإلا لن تري ابنة أختك مرة أخرى، أفهمتي؟

ولم تعطِ الفرصة لسميرة لكي تتحدث وتغلق الهاتف مباشرةً.

مها أثناء المكالمة اقتربت إلى الأمام عدة خطوات لتحاول أن تسمع وبالفعل كل شيء دون ملاحظة أحد بأنها تسترق السمع، ثم رجعت إلى الوراء وقد فوجئت بأن نهى علمت بموضوع الخزنة السرية ثم تخرج من المكان. .
تتصل بها سميرة:
- أهناك خزنة سرية تمتلكينها؟
-: نعم، اسمعيني جيدًا سأقابلك داخل البنك انتظريني هناك.
يتهامس شادي مع والدته حتى لا تسمعهم ملك.
-: كيف عرفتي بموضوع الخزنة السرية؟
-: من أحد العاملين في البنك، رصيد مها في البنك عندما توفيت لم يكن كبيرا وللأسف لم أسأل عن وضعها المالي، وما إذا كان لديها خزنة في البنك أم لا، لو كنت عرفت منذ أن توفيت ما كان كل ذلك الوقت ضاع سدى.
-: وكيف عرفتي؟
-: بالصدفة رأيت سميرة في البنك منذ أسبوعين، تسحب بعض المال، فسألت شخصا يعمل في البنك ماذا تفعل تلك السيدة هنا، وبمال يمكن أن أعرف أي معلومة، وأثناء حديثه عن حسابها وحساب ملك البنكي قال لي إن هناك خزنة سرية لم تفتح منذ ستة عشر عامًا، فاستنتجت أن تلك الخزنة فيها تفاصيل التركيبة لأن بعد الحادث بفترة تم فتح الخزنة من قبل سميرة مرة واحدة ولم تفتح بعدها.
مها كانت تسمعهم قبل أن تذهب إلى البنك وتفكر، غبية أنتِ يا نهى، من المؤكد إن كانت تلك الخزنة سرية كما قلتِ، إذن لم أقل لأحد عنها بالرغم من أن سميرة لديها توكيل مني لكنها لا تعلم بأمر الخزنة، ومن فتح الخزنة عندها كنت أنا وليست سميرة ولست وحدك من لديك نفوذ، فأنا أيضًا

فتحت الخزنة بالرغم من أنني ميتة في نظر المجتمع، وبالرغم من أنني شددت على أن يكون موضوع تلك الخزنة لا يعرفه أحد حتى أختي، لكن فيما يبدو أن هناك موظف ساعدك على معرفة أن لدي خزنة، على العموم سوف أجلب لك ما تريدين فأنا لا أستطيع أن أخاطر بحياة ابنتي.

مها تذهب متنكرة إلى البنك، وتجلس بجوار سميرة، وسميرة لم تعرفها عندما جلست بجوارها، فقد كانت ترتدي شعرا أسود قصيرا وتضع عدسات سوداء وكانت ترتدي بنطالا أزرق وتيشيرت وردي.

- اسمعيني سميرة.

سميرة تنظر إلى مها، مها تنظر للأمام وتبتسم:

- لا تنظري إليّ هكذا، أنا مها ولكن متنكرة، فمن الممكن أن يكون هناك رقابة عليكِ داخل البنك فأنا لا أعلم الموظف الذي يساعد نهى.

- هل من خطفت ملك تكون نهى؟

- نعم نهى، اسمعيني جيدًا واحفظي الأرقام السرية للخزنة ،٣٥١٩ سوف تأخذي هذا الملف الأزرق وأنا معي واحد آخر وأثناء خروجك من البنك سوف أصطدم بك، ستقع شنطتك والملف، وبخفة يد سوف أبدله بالملف الذي بيدي، وبعدها تخرجي ستكون هناك سيارة أجرة. . .

وتخبرها عن رقم السيارة.

- اركبيها لأن هناك أشخاص يراقبونكِ، سوف يقوم سائق الأجرة بمداهمتهم، حتى يضيعوا أثرك ثم سيأخذك سائق الأجرة إلى بيتي تجلسي هناك وإياكِ أن تخرجي من البيت مهما حدث، حتى أرجع ومعي ملك.

- أنا أريد أن أعرف ماذا يحدث بالضبط أشعر كأني في فيلم بوليسي.

- اطمئني الموضوع سوف ينتهي اليوم، اتركي هاتفك المحمول على الكرسي

الذي أجلس عليه واذهبي وافعلي ما قلته لك.
وبالفعل تنفذ سميرة كل ما قالته مها لها، وبعد أن تخرج سميرة من البنك وتركب سيارة الأجرة، يأتي اتصال على هاتف سميرة، فتجيب على الاتصال مها:
- أحسنت يا غبية لقد نفذتِ ما أريد، الآن تعالي إلى العنوان الذي سوف أخبرك به.
- حاضر أنا في الطريق.
بعد مضي وقت وتأكدت مها أنهم فقدوا أثر أختها وأنها أصبحت بخير، تخلصت من ملابس التنكر وترتدي ملابسها العادية، تذهب مها إلى هناك وفي المكان المظلم الذي خطفت فيه ملك تلتف حولها لا تجد أحدا، فالرؤية ليست واضحة، ثم من ورائها يظهر قليل من الضوء لتنظر من بعيد تجد ملك، ويقترب منها نهى وشادي وقد كان يسحب ملك على الكرسي بعجلات الذي كانت تجلس عليه وربطها فيه، والحرس الشخصي لنهى.
فتنظر لها نهى قائلة:
- من أنتِ؟؟
شادي يرد:
- ندى!!
وقالت ملك:
-ندى!! أنتِ أيضًا من العصابة وأنتم اتفقتم علي كل هذا من أجل المركب الغريب!
قالت نهى:
- لحظة، لحظة، أنا أعرف ذلك الوجه.
ثم تدور حول مها ومها تنظر إليها ثم ترفع مها حاجبيها ويديها متسائلة:

- أعرفتي من أنا؟
-: أيعقل ندى!! كيف أصبحتِ شابة؟
ينظر شادي إلى ملك، ثم يتجه نحو أمه قائلًا:
- أصلًا هي شابة وصديقتي في الجامعة، وهذه هي الفتاة التي حكيت لكِ من قبل أنني أريد الارتباط بها.
نهى تشير بيدها تجاه شادي:
- اصمت أنتَ يا غبي، أنا أوجه الكلام لندى، ما كل هذا الجمال والشباب يا ندى. .
ثم تلمس بشرة وجهها، ثم تكمل حديثها:
- ولا تجعيدة واحدة وجلد يدك الناعم وجسمك الشاب!! أكنتِ تعرفين تركيبة إكسير الجمال؟
تمسك مها يد نهى حتى توقفها عن لمس وجهها، فتقول لها:
- أحببت أن أصحح معلوماتك فقط، أنا من اخترعت تركيبة إكسير الجمال بمعنى آخر أنا مها.
نهى تنصدم وترجع إلى الوراء وتنظر إليها:
- هكذا اكتملت الصورة. . .
ثم تصفق لها:
- جيد، جيد جدًا، لا بل ممتاز، هكذا الناقص قد اكتمل لكن من مات في شقتك. . أيعقل أن تكون. . .
-: نعم هذا صحيح، هالة.
نهى ترفع المسدس في وجه مها، قائلة:
- أنتِ السبب في موت هالة، يجب أن أحذر منك.
مها تنزل المسدس الموجه بيدها بثقة ثم تجلس على أحد الكراسي في المخزن

وتضع رجلًا على الرجل:

- اهدئي يا نهى، أنتِ تعرفين جيدًا أن هالة توفيت بسبب خطتك عندما أمرتيها أن تجعلني أقابلها خارج المنزل وجعلتيها تسرق التركيبة، لكن من سوء حظها انفجر المعمل لأنها قامت بخلط مواد خطرة، ولو قتلتيني الآن لن تعلمي عن التركيبة.

نهى توجه المسدس على وجه ملك:

- وما رأيك الآن؟ هل سأحصل على التركيبة هكذا؟

-: أتعلمين ما الفرق بيني وبينك أنتِ قرارتك سريعة متهورة، لكن أنا قراراتي مدروسة بمعنى أنك لو قمتِ بقتل ملك، هل تعتقدي بأنني سوف أعطيك التركيبة؟ وأساسًا أنا جئت لهنا واعترفت لك من أنا، مع أنني من الممكن أن أبعث سميرة وأكتب لكِ أي تركيبة، ولو حاولتِ العمر كله تعرفي التركيبة الحقيقة لن تعرفيها ولا حتى أنني مازلت حية، لماذا لم تسألي نفسك أنا هنا لماذا؟ ولماذا اعترفت لكِ بحقيقتي؟؟

نهى تنزل المسدس:

- إذن أخبريني.

- هكذا أصبحتِ تفكرين بطريقة صحيحة، لدي طلبين الأول: سآخذ ملك معي وتفكي قيدها، والثاني: أنا أعلم جيدًا أنني لو أعطيتك التركيبة لن نخرج من هنا أحياء سوف تقومين بقتلنا لذلك أريد ضمانا منك.

- وما هو الضمان الذي تريدينه؟

- الملف الذي معي فيه تركيبة إكسير الجمال لكن ينقصه مادتان بالإضافة أن طريقة الاستخدام لن أعطيها لك وبالتأكيد هناك مدة محددة وينتهي مفعول الإكسير. . . .

ردت نهى مندهشة:

- مدة محددة!!!
- لا تقولي أنكِ لم تلاحظي أنني كنت أعمل معكِ بوجهي وأنا كبيرة في السن، وفي نفس الوقت شكلي كما ترينه الآن، ووجهي ووجسمي بالكامل شاب، فقد كنت أستخدم الإكسير وأنا ذاهبة إلى الكلية ألم يقل لك شادي -هي من الأساس شابة وهو يريد أن يتزوجني-.
- تمام، إذن سوف تعطيني الملف ناقص كضمان.
- ليس هذا فقط. . .
وتخرج ورقا من الملف الأزرق:
- أريد توقيعك أيضًا على هذه الأوراق.
نهى تأخذ منها الورق:
- ما هذا الورق؟؟
الورق يوجد فيه اعتراف منك بجميع الأبحاث المشبوهة التي تقومين بها وأسماء شركائك جميعهم يعني آخر سجلك الإجرامي بالكامل.
- أنتِ مجنونة أليس كذلك، ولماذا أوقع على ورق كهذا؟!
- تعويض وحماية.
- تعويض وحماية عن ماذا؟؟
- إذا أعطيتك الورق الخاص بإكسير الجمال سوف يحدث شيئان: الأول لن ينسب الاختراع لي، ثانيًا سوف تحاولي أن تتخلصي مني في أقرب فرصة تأتي لكِ، الذي كان يستخدم البشر كفئران تجارب يستطيع فعل أكثر من ذلك.
- أعطيني فرصة لكي أفكر في كلامك.
- عشر دقائق ليس فقط لتفكري، أيضًا لتجري اتصالاتك مع شركائك.
نهى تقترب من مها وهي جالسة على الكرسي ثم تخبط بقوة على يدي الكرسي:

- يبدو أنني قمت بتربية ثعلب، لكن تعلمين يعجبني ذكاؤك. .
ثم تنظر إلى شادي:
- ليس المصيبة التي رزقت بها.
ثم تذهب إليه وتضربه على رأسه قائلة:
- تريد أن تتزوج امرأة في عمر أمك يا غبي. .
ثم تذهب بعيدًا لتجري اتصالاتها. . ملك صامتة وتنظر إلى والدتها والدموع في عينها وبصوت منخفض:
- كيف؟؟
-: ليس بيدي يا ملك أجبرت على ذلك.
ملك وعلامات الغضب على وجهها وتضرب برجلها على الأرض:
- أجبرتي على ذلك ما الذي يجعلك تبتعدين عني كل هذه السنوات؟ من أجل مركب تبتعدين عني وتموتين في أعين الناس، هل المركب أهم مني؟
قال شادي:
- أنتِ حزينة يا ملك، أنا سوف أموت من القهر.
ويضحك بطريقة هستيرية:
- أنا أحب أمك. . ! ما الذي يحدث لي أنا مغفل كيف لم أكشفك فأنتِ كنتِ مختلفة عن جميع الفتيات اللاتي عرفتهم، فأنتِ كنتِ مميزة وعاقلة بزيادة ولست متهورة وكلامك بالميزان ولم تكوني ثرثارة فمعظم الفتيات هكذا، كيف لم ألاحظ أو ربما أحببتك لأنكِ كنتِ مختلفة.
وينظر إلى مها ويقترب منها قائلًا:
- أنا أتألم وكل هذا الألم بسببك، سوف أريكِ أياما سوداء.
مها تضع يدها على خدها وتتكئ على يد الكرسي وبصوت منخفض:

- أهذا ما كان ينقصني أبله وغبي يهددني!!
-: أتقولين شيئا؟
-: أقول لك اذهب العب بعيدًا عني.
شادي يحمر وجهه من الغضب ويرفع المسدس على مها:
- على ماذا كل هذا الغرور؟ ماذا تعتقدين نفسك؟
وفجأة تصرخ أمه فيه:
- أنزل مسدسك يا غبي، تريد أن تعرف على ماذا كل هذا الغرور؟؟ على العقل الذي يستطيع السيطرة على المواقف ليس الغباء الذي تملكه.
تقوم نهى بالتوقيع على الورق وتقول لمها:
- هذا هو الورق أعطيني ورق التركيبة.
مها تقف من على الكرسي وتشير برأسها تجاه ملك:
- اجعلي شادي يفك ملك.
وبعد أن يفكها شادي، تقوم مها بسحب يد ملك وترجعها وراءها وتقف أمام نهى وتعطيها الملف. . تأخذ نهى الملف وتقول لمها:
- لن يذهب أحد من هنا حتى أتاكد بنفسي.
ثم تبدأ بقراءة التركيبة لتتأكد من حقيقة الورق فهي خريجة كلية صيدلة
وبعد أن تقرأ الورقة الأولى تنظر إلى مها قائلة:
- ما هذا؟ هذه ليست. . .
وفجأة رجل يقف خلفها موجهًا مسدسًا لها من الخلف قائلًا:
- اجعلي كل الحرس ينزلوا مسدساتهم لقد انتهت اللعبة، المكان كله محاط برجال الشرطة.
نهى تنظر إلى مها بنظرات حادة، مها تبتسم:

- هذه ليست التركيبة أليس كذلك، لو كنت أخذت التركيبة لكنتِ قتلتيني هنا أعلم جيدًا تفكيرك، وأنا ظهرت لكِ بشخصيتي لتكوني متأكدة أن الورق معي، وأيضًا أيعقل أن أكون أتحرك من نفسي وأعمل معكِ كل هذه الأعوام، أنا من الأساس مع الشرطة أول ما علمت بموضوع الأبحاث المشبوهة التي تقومين بها، وقد تركناكِ كل هذه السنوات لأن قذاراتك لم تكن لها نهاية، وفي كل مرة أتوغل في العمل معكِ اكتشف شيئا جديدًا وأعرف شركاء جدد ومعامل سرية أخرى في أماكن متفرقة من العالم، ومع كل هذا لم نستطع أن نمسك دليلًا واحدًا عليكِ فللأسف المراكز والمعامل بأسماء مزيفة وليست تحت اسمك، وأنتِ تحركينهم بأموالك، فالحل الوحيد هو هذا الورق الذي وقعت عليه الآن، معرفتي بشادي لم تكن صدفة أنا كنت أعلم جيدًا أنه لا يعلم شيئا عما تقومين به، والصراحة أكثر كنت سأستخدمه ووضعت خطة لكِ لأخذ منك اعترافا، لكن أنتِ سبقتيني بخطف ملك، أعترفِ أنكِ غيرتِ خطتي.

شادي يضحك ضحكة عالية والشرطة مكبلة يديه:

- عرفت الغباء الذي عندي ورثته من أين؟

وينظر إلى أمه:

- يبدو أنها جينات وراثية يا أمي، تأخذهم الشرطة.

ملك وراء أمها وتنظر إلى الأرض وتبكي، تسحب مها ابنتها ملك أمامها ثم ترفع رأسها وتجعلها تنظر إليها:

- أعلم جيدًا، أنتِ تعتقدين أنني لا أستحق أن أكون أمك.

وفي أثناء حديث مها معها، فجأة تحتضن ملك أمها وتبكي كالطفلة الصغيرة قائلةً:

- لماذا تركتيني؟ لماذا، لماذا؟

الفصل الحادي عشر
العودة إلى المنزل

تدخل ملك وأمها إلى البيت، سميرة في انتظارهم وتحتضن ملك وتشكر الله على عودتها سالمة، وفجأة تسقط مها على ركبتيها ثم تحرك يدها باتجاه سميرة وملك ألا يقترب منها أحد ثم يتحول جسمها ووجهها إلى إمرأة في عمر الأربعين لأول مرة يتحول وجه مها أمام أحد ولأول مرة ترى سميرة وملك وجهها الحقيقي المناسب لعمرها. . ثم تقترب منها ملك قائلة:

- هل أنتِ بخير؟؟

فترد أمها عليها:

- لا تقلقي فهذه ليست أول مرة لظهور عمري الحقيقي لا تنسي أنني كنت أعمل مع نهى بوجهي الحقيقي.

تجلس مها في غرفة المعيشة ومعها سميرة وملك، مجتمعين جميعًا والسرور والبهجة تعم في المكان، وهم يشربون أكوابا من الشاي الساخن. . تسأل سميرة أختها:

- وماذا ستفعلين الآن يا مها؟

- أولًا سوف تأتون للعيش معي هنا في هذا البيت، الذي صمم على النظام الأمريكي، ثانيًا نبيع الشقتين القديمتين التي كنا نسكن فيها مسبقًا وشقة المعمل، وسوف أقوم بعمل معمل أبحاث أساعد فيه الخريجين الجدد في العمل فيه، ولا تقلقي من المال فلدي أموال كثيرة بسبب عملي مع نهى كانت تعطيني راتبًا عاليا.

ملك تسأل أمها:

- أمي، عندي سؤال، كيف ماتت هالة في معمل الكيمياء وهي كانت تدرس معكِ في كلية العلوم قسم الكيمياء ونحن ندرس جيدًا المواد القابلة

للاشتعال والضارة وغير قابلة للاشتعال؟
تنظر مها لملك وتبتسم فقالت ملك:
- أقلت شيئا خطأ.
-: لا، لكن أول مرة تقولين أمي بعد الغياب، أما عن سؤالك، هالة كانت تسألني هل توصلت لنتيجة أم لا، عندما شعرت بالشك تجاه السؤال المتكرر عن النتيجة، خفت أن تأتي لزيارتي في أي يوم وتدخل المعمل ومن الممكن أن تعرف جزءا من التركيبة، فقررت أن أكتب المواد المستخدمة في التجارب بأسمائها غير حقيقة بمعنى الهيدروجين كنت أسميه أكسجين والأكسجين كلور وعلى هذا المنوال، وكنت أحفظ جيدًا الخلط بين الأسماء، ويكون تركيزي عاليا ودقيقا حتى لا يحدث شيء خطأ، وحفظتها بسرعة.
قالت سميرة معلقة على حديث مها:
- أمك معروفة بميزة الحفظ السريع من زمان وهي طالبة في الجامعة.
ثم توجه سميرة سؤال لمها:
- ألن تنشري بحثك في اكتشاف إكسير الجمال؟
ثم تنظر بلهفة ولمعة الفرحة في عينها:
- ما رأيك أن تعطيني إياه لكي أجربه؟
-: لا يمكن أن تستخدميه، ولا يمكن أن أنشره، ببساطة الإكسير يدوم فقط عشر ساعات فقط وبعد ذلك ترجعين مرة أخرى، أيضًا له أعراض جانبية على القلب، ولأنني أتناوله على دواء معين حتى لا يؤثر علي لأنه عندما جربته أثر على قلبي ومن حسن حظي اكتشفت ذلك قبل حدوث أي مضاعفات، وأجبرت على أخذ دواء معين للقلب حتى أستطيع أن آخذ الإكسير، بالإضافة إلى ذلك أن تركيبته ليست مناسبة لجميع الأجسام، أنا

فقط أستخدمه من أجل كشف نهى وأفعالها.
قالت ملك:
- أتقصدين أنك لن تستخدميه مرة أخرى؟!
-: لا لن أستخدمه مرة أخرى، ماذا لا يعجبك شكلي هكذا؟؟
-: أنتِ بالنسبة لي أجمل أم في العالم.
ثم تحتضن أمها.
نامت ملك اليوم في حضن أمها، شعور عودة مها لابنتها لا يوصف، وتنظر مها لابنتها وهي نائمة وسعادتها لا توصف ثم تنزل قليل من الدموع من عين مها على خد ملك، فتقوم مها بمسح دموعها، وتقبل ابنتها، وتنام مها بهدوء بجوار ابنتها، في ذلك الوقت كانت تقف سميرة على باب الغرفة وتطفئ الضوء، وتخرج سميرة وهي تبكي:
- لم أكن أعلم أن مها تبكي مثلنا فهذه أول مرة أراها تبكي.

الفصل الثاني عشر
بداية جديدة للإكسير

بعد مرور عدة أشهر، فتحت مها معمل الأبحاث الخاص بها، وهي تعمل في المختبر، يدخل عليها رجل يرتدي بذلة سوداء ويبدو عليه الوقار والهيبة، وكأنه شخصية مهمة وأثناء انشغال مها في المعمل، فيطرق على الطاولة ويبتسم قائلًا:

- أعقدتي النية على اختراع إكسير الحياة؟

تنظر مها إليه وهي مرتدية نظارات الوقاية للعينين، ثم تضحك قائلة:

- لماذا تقول هذا؟؟

فيرد الرجل:

- لأنك وحدك في المعمل ومندمجة فقلت أكيد سوف تخترعين شيئا جديدًا.

ترحب به مها كأنها تعرفه منذ وقت طويل ويجلسان في المعمل فتقول له:

- خيرًا؟ يبدو أن هناك شيء جديد.

- أتعرفين يا مها، هذا ما يجعلني أعجب بشخصيك، من أول مرة جئتِ إلينا فيها منذ أربعة عشر عامًا، ثم أمرت بتدريبك، وعندما كنت أراقب تصرفاتك وشخصيتك أعجبني فيها ثلاث أشياء، ثبات انفعالي، الذكاء، وسرعة الحفظ والبديهة.

- بما أنك تمدح في هكذا، أكيد هناك مهمة جديدة.

الرجل يضحك:

- وماذا إن لم تكن هناك مهمة جديدة؟

- لم أكن لأراك اليوم، وخاصةً أنني قلت لك بعد القبض على نهى أنني لن أعمل معكم مرة أخرى، وأريد أن أعيش بسلام مع ابنتي وأختي دون مشاكل.

فيرد عليها الرجل:

- اسمعيني مها، عندما سمعت منك هذا الكلام، قلت لنفسي أتركِ ترتاحين قليلًا وخصوصًا كل هذه السنين التي عملتِ معنا فيها من أجل أن تساعدينا على لقبض على نهى والعصابة التي معها فتركتك تريحي أعصابك، وأيضًا أشياء أخرى كنت تساعدينا فيها، ولكن أنا أعلم جيدًا أن الفتاة التي جاءت إلينا أول مرة ولم تكن تعلم الكثير، ودربناها على ضرب النار، واستخدام ذكائها، وشخصيتها القوية بشكل صحيح يستحيل أن تتركنا، لأنك لست شخصية عادية وأنتِ أيضًا لم ترغبي أن تكوني شخصية عادية، والدليل على ذلك قرارك أن تخترعي إكسير الجمال مركب غير عادي، لذلك شخصية مثلك لا تستطيع أن تتركنا وفي الأخير القرار يرجع لكِ.

- وما نوع المهمة الجديدة؟

- سؤالك هذا أعتبره موافقة على الرجوع للعمل معنا؟

- لا، سؤالي مجرد استفسار لكي أحدد ما مدى خطورة المهمة.

الرجل يبتسم:

- أنتِ تعلمين جيدًا أن نسبة الخطورة تعتمد على الشخصية المكلفة لها المهمة، وبما أنك سألتِ إذن أنتِ مهتمة وهذا مؤشر جيد، أنا في انتظار ردك لن أنتظر كثيرًا أمامك يومين لتفكري وتردي علي وتأتي ومعك إكسير الجمال.

ثم يقوم الرجل من على الكرسي وأثناء خروجه من المعمل يقف ويلتفت إلى مها قائلًا:

- صحيح مها، هل اخترعتي تركيبة تغير الشكل؟؟

تبتسم مها قليلًا، فيقول الرجل:

- بما أنك ابتسمتي إذن قد اقتربتي من التركيبة أكملي عملك إلى اللقاء.
ثم يذهب. . تفكر مها في البيت هل سوف ترجع إلى إكسير الجمال وتبدأ مغامرة جديدة أم لا؟ ثم تدخل غرفة ابنتها وتجد ملك تدرس استعدادًا لامتحانات نهاية العام وتجلس معها قليلًا ثم تسألها:
- ما أخبار الدراسة معك أتريدين مساعدة؟
- شكرًا، بالمناسبة ماما ابنتك ذكية مثلك تمامًا وتستطيع أن تذاكر وتحصل على أعلى الدرجات لا تقلقي علي.
مها تريد أن تقول شيئا لملك ولكنها مترددة ثم تنظر إليها ملك:
- ماذا تريدين أن تسأليني؟
- وكيف علمتي أنني أريد أن أسألك؟
- أنسيتي أنك أعز صديقاتي يا ندى؟
تبتسم مها وتسأل ملك:
- لو استخدمت إكسير الجمال مرة أخرى هل ذلك سيضايقك؟
ملك تمزح مع أمها:
- إذا استخدمتيه من أجل أن تتجوزي بالتأكيد سوف أتضايق.
فتضحك مها ثم تكمل ملك حديثها:
- عندي ثقة أنك سوف تستخدمينه لهدف معين، ولذلك ليس لدي أي مشاكل لأنني مع أي قرار سوف تتخذينه يا أمي.
تبتسم مها وتقبل ملك وتخرج من الغرفة.
في الصباح الباكر تضع مها إكسير الجمال المحلول المركز ذا اللون الأزرق في كوب من الماء، فهو يشرب مع الماء الدافئ، فتتحول شابة من جديد فتستيقظ سميرة وملك ليجدوا مها بشكلها الشاب فتقول سميرة:

- ما هذا يا مها رجعتي ثانية في استخدامه!
فتهدئ ملك خالتها وتقول لها:
- اتركيها فأمي أخبرتني بأنها سوف تستخدمه مرة أخرى.
وبعد خروج مها من المنزل تغضب سميرة، وتقول لملك:
- إكسير الجمال حلال أن تستخدمه مها، وحرام أن أستخدمه أنا!
فتضحك ملك:
- يبدو أننا قريبًا سنراك شابة يا خالتي، أستأذنك فأنا عندي امتحان بعد ساعة، ويجب أن أذهب إلى الجامعة.
تقابل الرجل ذا الرداء الأسود فيبتسم الرجل قائلًا:
- جاهزة للمهمة الجديدة إذن؟
فترد مها:
- ألا يبدو عليّ أني جاهزة؟
فيقول الرجل:
- بالعكس يبدو أنك جاهزة جدًا هيا نشرح المهمة الجديدة.
ويشرح لها المهمة الجديدة ويقول لها:
- غدًا الساعة التاسعة ليلًا سأكون في انتظارك، سوف يكون هدفك رجل وسيم شعره بني وعيناه لونها أخضر وهذه صورته. . كل المعلومات المطلوبة سوف تصلك تدريجيًا لا أريد خطأ يا مها الرجل هذا لو اكتشف شيئا سيكون من المستحيل أن نعرف لماذا هو هنا.
مها تستفسر منه:
- وما هي المعلومات التي تريد أن تعرفها منه؟؟
فيرد عليها:

- لماذا أتى هنا؟ وما الذي يريد أن يصل إليه بالتحديد؟ وتدريجيًا الأسئلة الثانية سوف نقولها إليكِ في وقتها، المهم اللغة التي ستسخدميها معه ليست العربية واحدة من السبع لغات التي تعلمتها من قبل لا أريد أن يشك للحظة أنك عربية.
- لا تقلق، اللغات التي دربت عليها لا يمكن أن أنساها لأنني دائمًا أقرأ أبحاثا والأخبار بلغات مختلفة.
- إذن وضعك جيد على موعدنا غدًا.
يأتي اليوم التالي في تمام الساعة التاسعة ليلًا. . مها متواجدة في أحد الملاهي الليلة وعلى منصة الغناء تبدأ بلفت الانتباه لها بأغنية بلغة غير اللغة العربية، فينظر الرجل ذو الرداء الأسود لها من بعيد دون أن تلاحظ أنه موجود فهي تركز على هدفها، ثم يبتسم ويقول لنفسه:
قلت لك أن تلفتي انتباه الجميع، فأكتشف أنك تقدرين على الغناء وأيضًا بلغة أخرى غير لغتك الأم في كل يوم أتعامل معك فيه تبهرينني بموهبة جديدة لديك,
لتكون تلك بداية جديدة لإكسير الجمال مع مغامرة جديدة من نوع آخر,

تمت

تواصل معنا :

01011464037

E-mail -:Sonon. Pub@Gmail .com

جميع حقوق النشر محفوظه لدار سنون للنشر و التوزيع
إن أي تصوير أو اعادة طباعه أو نشر بشكل ورقي أو الكتروني
أو ترجمته أو تسجيله صوتيا بدون إذن كتابي مسبق من الدار
يعرض صاحبه للمسائله القانونيه